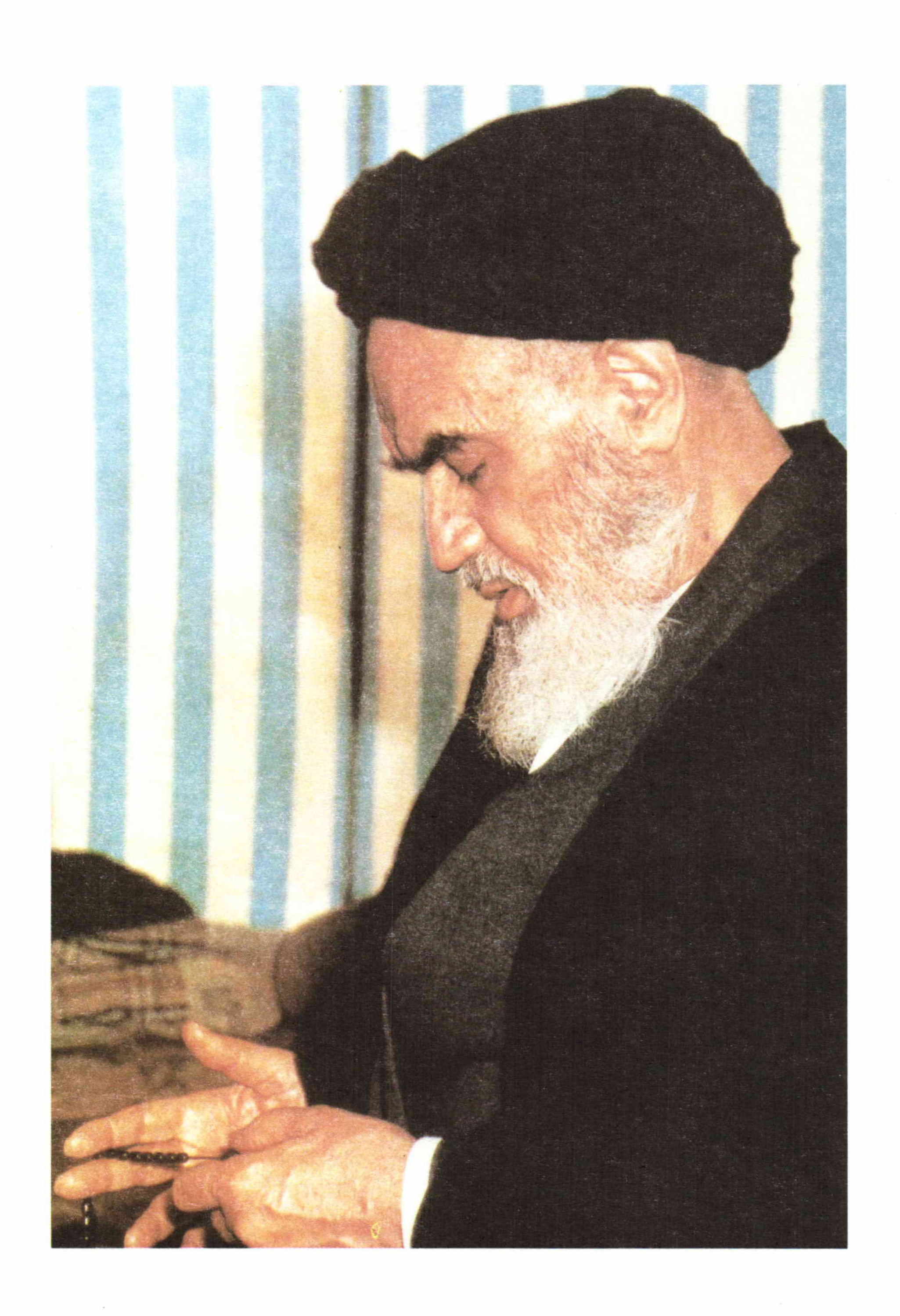


المظاهر الرحمانية

رسائل الإمام الخميني (س) العرفانية


بسم الله الرحمن الرحيم
شبكة الفكر
alfeker.net



المظاهر الرحمانية

رسائل الإمام الخميني (س) العرفانيّة

مؤسسة تنظيم و نشر تراث الإمام الخميني (س)
الشؤون الدولية



أمور دولية

□ المظاهر الرحمانيّة

□ الطبعة الاولى: ١٩٩٥ م

□ النـاشر : مؤسسة تنظيم و نشر تراث الإمام الخميني(س) ـ الشؤون الدوليّة

□ العنـوان : طهران ـ شارع الدكتور باهنر ـ شارع ياسر ـ رقم ٣ الرمز البريدي ١٩٧٧٦

هاتف ٢٢٨٣١٣٨-٢٢٨٧٧٧٤

فاكس ٢٢٨٧٧٧٣

السعر: ٢٨٠ توماناً

الفهرست

المقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

يعدُّ القرن العشرين قرن الثورات والتحولات الكبرىٰ بالنسبة لعالمنا الأرضي هذا، ففي مطلعه انطلقت الثورة البلشفية من روسيا القيصرية لتقيم الإتحاد السوفيتي السابق وتدعو الناس الى الماديّة ورفض الاعتقادات الدينيّة، وفي الربع الأخير منه حققت الثورة الاسلامية الايرانية النصر المبارك لتمدَّ يد المعونة للبشرية الغارقة في وحول المادية، والمتحيرة في وادي الضلالة والانحلال، لعلها تتمكن من انتشالها نحو المعنوية والفطرة الالهيّة.

وقد قاد هذا التحوّل العظيم والثورة الاسلامية العملاقة، الامام الخميني الكبير، الذي يصعب الحديث ـ في هذه المقدّمة المختصرة ـ حول شخصيته الالهية المباركة، و قدرته العلمية المميزة، ووعيه السياسي الوقاد، ومنهجه في قيادة الجماهير، الى غير ذلك من الابعاد المختلفة لشخصيته الفذّة. لذا فإننا نحيل القارئ الكريم الى العديد من اصدارات هذه المؤسسة للاطلاع على هذه الامور ونكتفي هنا بالتقويم لهذا الكتاب.

الرسائل العرفانيّة التي تمَّ ـ بحمدالله ـ جمعها في الكتاب الذي بين يديك عزيزي

القارئ، تمثّل هدايا نورانية اتحفنا بها هذا العالم الروحاني العلم، وهي مقالات تم سكبها في قالب رسائل مختلفة، حوت من المفاهيم العميقة والسامية الكثير مما عُرض بعبارات بسيطة مفهومة الى الحدِّ الذي يمكن معه القول بانها قد صيغت باسلوب يتيح للجميع فهمها وإدراك معانيها، الأمر الذي يعدُّ ـ في حدِّ ذاته ـ معجزة علميّة تختصّ بالامام الخميني(س).

كما هو جليٌّ من العناوين التي انتخبت لهذه الرسائل، فإن مباحثها تدور حول المعنوية والعرفان والحق تعالىٰ.

كتب سماحة الامام في جانبٍ من الرسالة التي بعث بها الى حليلة نجله الحاج السيد أحمد يقول: «بنيّة: ان الفلسفة بحث في مطلق الوجود، بدءً من الحق تعالى وانتهاءً بآخر مرتبةٍ من مراتب الوجود، أمّا علم العرفان والعرفان العمليّ فموضوعه الوجود المطلق، او إن شئت القول: الحق تعالى، فلا بحث له سوى في الحق تعالى وفي تجلياته التي هي عين ذاته».

معرفة الله، تمثل الاساس والاصل للدين، يقول أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة له: «أوّلُ الدّينِ مَعرِفتُهُ، وكمالُ مَعرِفتِهِ التَّصديقُ بِهِ، وكمالُ التَّصديقِ به توحيدُهُ، وكمالُ توحيدِهِ الإخلاصُ لَهُ، وكمالُ الإخلاصِ لَهُ نفيُ الصِّفاتِ عنه...»(١)

فالمعرفة الالهيّة، مبدأ الدين و اساسه، بل انها تمام الدين، فمالم يفهم الإنسان موقعه والهدف من خلقه، فإنّه لن يبلغ هدف الدين المتمثل في السعي لإنقاذه و نجاته وبلا معرفة الله فإنّ من غير الممكن إدراك حقيقة هذا العالم و حقيقة النفس البشريّة، و في الحقيقة فإنّ معرفة عالم الوجود ومعرفة الانسان إنّما تمثّل وجوهاً مختلفة لمعرفة

١- نهج البلاغة: الخطبة الاولىٰ

الله، ذلك لأنَّ حقيقة عالم الموجودات تصبح امر غير حقيقي اذا جُرّدت من تجلّيات الوجود المطلق. وفي قول أمير المؤمنين عليه السلام «ما رأيتُ شيئاً الا رأيت الله قبله ومعه وبعده»[٢] تجسيد رائع لهذه الحقيقة. وبهذه البصيرة التي يقول عنها أمير المؤمنين عليه السلام فإن العالم بأسره يظهر له كتجليات لله تعالى، ويُصبح كلّ شيءٍ دليل وآية لله جلَّ وعلا وتصبح كل ورقة ـ في غصنها او على الأرض ـ ورقة في دفتر معرفة الله.

وعلى الرغم مما ذكرنا، فإنّ الانسان إذا غفل عن ذكر الله وأشاح بوجهه عنه تعالى، فإن حوادث الدنيا وظواهرها ستفقد معناها و مفهومها عنده، وستخلو من أيّة معنوية او غيب.

فالدنيا بكائناتها محاطة بقيود مكانية تتمثل في هذا العالم، وأخرىٰ زمانية تتمثل في التاريخ، وثالثة تتمثل في عالم الغيب. والأخيرة هي التي تعطي للمكان والزمان صفة المعنوية، عليه فإنّ الانسان إذا قطع ارتباطه بعالم الغيب، عجز عن معرفة المعنوية الحقيقية لعالم الفطرة، وللتاريخ، وبالنتيجة فإنّ قطع الارتباط والمنهج الفكري المغلوط المتمثل بكفر الكافرين هو الذي أحال الارض الىٰ جذوةٍ مستعرةٍ من النار المتقدة بالظلم والفساد.

وبناءً على مامرَّ فإن العقيدة المستندة الى معرفة الله تقوم على أسسٍ فكرية واعتقاداتٍ معنوية وروحانية، في حين تقوم العقيدة الماديّة على اساس انكار الحق تعالىٰ.

وحول هذا التضادّ يحدّثنا زعيم الثورة الإسلاميّة الكبير في جانب من رسالته التي بعث بها الى غورباتشوف (آخر زعيم للإتحاد السوفيتي المنحلّ) فيقول: «لقد

٢- نهج البلاغة

جعل المادّيون من الحسّ معياراً للمعرفة في عقيدتهم وأسقطوا كل ما هو غير محسوس من دائرة العلم، فعدّوا الوجود قريناً للمادة، ليصبح ـ على هذا الاساس ـ كل ما افتقد المادة غير موجود، وبذا فإنّهم يعتبرون عالم الغيب ـ بما فيه وجود الباري تعالى ـ والوحي والنبوّة والقيامة .... اساطير لا اساس لها، في حين ان المعيار في العقيدة الالهيّة يشمل الحسَّ والعقل معاً، فكلّ معقول يدخل في نطاق العلم وإن لم يكن محسوساً، وبذا يصبح الوجود بشقيه (الغيب والشهادة) وكلّ ما ليس بمادةٍ موجوداً، وتستند المعرفة الحسيّة أيضاً الى المعرفة العقليّة كاستناد الموجود المادي الى «المجرّد».

عليه، ولمّا كان طريق معرفة عالم الوجود منحصراً في المعرفة الالهيّة، فإنّ الانسان يحتاج في سعيه لمعرفة نفسه أيضاً الى المعرفة الالهيّة، واذا انعدمت المعرفة الالهيّة وقع الانسان في نسيان نفسه. وبهذا فإنّ حقيقة الانسان تُمسي ممكنة التعريف فقط اذا ارتبطت بالله. يقول سماحة الإمام في رسالته التي بعث بها الى نجله العزيز الحاج السيد احمد: «إنّ الأمر الذي يقترن بنسيان الحق تعالى، هو نسيان الإنسان نفسه أو إن شئتَ فقل: إنَّ الحق تعالى سيجرُّ الانسان نحو نسيان نفسه، وهو أمر يصدقُ على الجميع، ومن الناحية العمليّة فإنّ الغافل عن الله وعن حضوره، يُبتلىٰ بالغفلة عن نفسه أو أنّه يُدفع نحو ذلك ـ فينسىٰ عبوديته، ويُسحب من مقام العبودية ليُلقىٰ الى النسيان ومن لايدري ماهو ومَن هو وما هو الهدف من خلقه وما هي عاقبته، فإنَّ الشيطان حالٌّ فيه متربعٌ في داخله بدلاً من نفسه، ولما كان الشيطان عامل للعصيان والطغيان، فإنّ هذا الانسان إذا لم ينتبه من غفلته ويعود الى ذكر الحق، فإنّه سيغادر هذا العالم وهو على حالته من العصيان والطغيان، وقد يُبعثُ في

الآخرة على صورة شيطان مطرود من قبل الحقّ تعالىٰ».

إذن، لا سيبل لمعرفة الوجود ومعرفة النفس البشرية سوىٰ المعرفة الالهيّة. ومعرفة النفس حاجة فطرية بحتة، تمثل بالضبط تلك الفطرة التي جُبل الإنسان عليها، فطرةُ الله، فطرة التوحيد التي تمثل بالتالي اساس الاسلام.

جاء في الاصول من الكافي: «... عن عبدالله بن سنان عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سألته عن قول الله عزّ وجلّ (فطرة الله التي فطر الناس عليها) ما تلك الفطرة؟ قال: هي الاسلام، فطرهم الله حين أخذ ميثاقهم على التوحيد، قال: "ألستُ بربّكم" وفيه المؤمن والكافر»[٣]

لقد نفخ الباري جلّ وعلا من روحه في الانسان «نفخت فيه من روحي» وأخذ منه ميثاق الربوبية في عالم الذرّ، وهذا الارتباط بين الله وعبده، هو الذي يدفع الانسان نحو المعرفة الالهيّة ونحو عبادة الله، وهو الذي يثير في داخله الاضطراب والقلق. وبعبارةٍ اخرىٰ فإنّ المعرفة الالهيّة هي مطلوب الفطرة الانسانية، بل يمكن القول بأنّ فطرة الانسان هي تلك المعرفة.

ورد في الاصول من الكافي ايضاً: «... عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: وسألته عن قول الله عزّ وجلّ: "وإذ أخذ ربّك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم، قالوا: بلىٰ ـ الآية"؟ قال: أخرج من ظهر آدم ذريته الى يوم القيامة، فخرجوا كالذرّ فعرّفهم وأراهم نفسه ولولا ذلك لم يعرف أحدٌ ربّه وقال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: كلُّ مولود يولد على الفطرة، يعني المعرفة بأنَّ الله عزَّ وجلّ خالقه، كذلك قوله: «ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولنَّ

٣- الاصول من الكافي: كتاب الايمان والكفر ـ باب فطرة الخلق على التوحيد

الله».[٤]

على هذا، ولمّا كانت المعرفة الالهيّة، اهم اساس من الاسس التي تقوم عليها حياة الانسانيّة، فإنّ ما كتبه الإمام الخميني في هذا الموضوع يمكن أن يتيح لطلاب المعرفة الالهية، الفرصة المناسبة للارتواء من هذا النبع العرفاني النوراني الطاهر.

نبتهل الى الباري تعالى، ان يوفق الجميع للانتهال من بحر المعرفة الالهيّة هذا والله من وراء القصد.

مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني(س)

الشؤون الدوليّة

٤- الاصول من الكافي: كتاب الايمان والكفر ـ باب فطرة الخلق على التوحيد ـ ح ٣

المظاهر الرحمانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمدٍ وآله الطاهرين، ولعنةالله على أعدائهم اجمعين.

أشهدُ أَن لا إله الا الله وحده لاشريك له وأَشهدُ ان محمداً عبده ورسوله وأنّ علياً أميرالمؤمنين وأولاده المعصومين صلوات الله عليهم خلفاؤه وأنّ ماجاء به رسول الله صلى الله عليه وآله حقٌ، وأنّ القبر والنشور والجّنة والنار حقٌ وأن الله يبعث من في القبور.

وصيّة من أبٍ عجوز أهدر عمره ولم يتزوّد للحياة الأبـدية ولم يخـطُ خـطوةً خالصةً للّه المنان، ولم ينجُ من الأهواء النفسانية والوساوس الشيطانية، لكنه غير آيسٍ من فضل وكرم الكريم تعالى وهو يأمل بعطف وعفو الباري جلَّ وعلا، لا زاد له سوىٰ هذا.. الى ابنٍ يتمتّع بنعمة الشباب متاحة أمامه فـرصة لتهـذيب النـفس وللقيام بخدمة خلق الله، والأمل ان يرضىٰ عنه الله تعالى، كما رضي عنه أبوه، وان يوُفَّقَ لتقديم ما بوسعهِ خدمةً للمحرومين الشريحة الاكثر استحقاقاً لتقديم الخدمة اليها من بين جماهير الشعب الأخرىٰ والتي اوصىٰ بها الاسلام.

بُنَيّ احمد ـ رزقك الله هدايته ـ:

اعلم، أنّ العالم سواءٌ كان أزلياً وأبدياً أو لا، وسواءٌ كانت سلاسل الموجودات غير متناهيةٍ أو لا، فإنّها جميعاً محتاجةٌ، لأنّ وجودها ليس ذاتياً لها، ولو تفكّرتَ وأحطت عقلياً بجميع السلاسل غير المتناهية فإنك ستدرك الفقر الذاتي والأحتياج في وجودها وكمالها الى الوجود الموجود بذاته والذي تمثل كمالاته عين ذاتـه، ولو تمكنت من مخاطبة سلاسل الموجودات المحتاجة بذاتها خطاباً عقلياً وسألتها: أيتّها الموجودات الفقيرة، من يستطيع تأمين احتياجاتكم؟

فإنها ستردُّ جميعاً بلسان الفطرة: «اننا محتاجون إلى من ليس محتاجاً بـوجوده مثلنا إلى الوجود والذي هو كمال الوجود». وهذه الفطرة ايضاً ليست من ذاتهـا، ففطرة التوحيد «**فطرة الله التي فطر النـاس عـليها لاتـبديل لخـلق الله**» مـن الله، والمخلوقات الفقيرة بذاتها لن تتبدل الى غنيّة بذاتها، فمثل هذا التبدل غـير ممكـن الوقوع، ولأنها فقيرة بذاتها ومحتاجة فلن يستطيع سوىٰ الغنيُّ بذاته من رفع فقرها واحتياجها كما ان هذا الفقر الذي يمثل أمر لازم ذاتي فيها، هو صفة دائمةٌ ايضاً، سواءٌ كانت هذه السلسلة ابدية او لا، ازلية أو لا وليس سواه تعالى من يسـتطيع حـلَّ مشاكلها وتأمين احتياجاتها، كذلك فإن ايَّ كمالٍ أوجمال ينطوي عليه ايَّ موجود ليس منه ذاتاً، انما هو مظهر لكمال الله تعالى وجمالهِ فـ«**ومارميت اذ رميت ولكن الله رمى**»[1] حقيقة تصدق على كل أمر وكل فعل، وكلُّ من يدرك هـذه الحـقيقة ويتذوقها فلن يُعلّق قلبه بغير الله تعالى، ولن يرجو غيره تعالى.

هذه بارقةٌ الٰهية، حاول ان تفكّر فيها في خلواتك، وان تلقّن قلبك الرقيق وتكرّر

---

١ ـ الانفال: ١٧

عليه هذه الحقيقة إلى ان ينصاع اللسان لها وتسطع هذه الحقيقة في ملك وملكوت وجودك. وارتبط بالغنيّ المطلق حتى تستغنيَ عمن سواه، واطلب التوفيق منه حتىٰ يجذبك من نفسك ومن جميع من سواه، ويأذن لك بالدخول والتشرّف بالحضور في ساحته المقدسة.

ولدي العزيز: ان الله جلَّ وعلا «هوالاول والآخر والظاهر والباطن»[٢] كما **«أيكون لغيرك من الظهور ماليس لك حتى يكون هو المظهرلك؟ متى غبت حتى تحتاج الى دليلٍ مُدلٍّ عليك ومتى بَعُدت حتى تكون الأثار هي التي توصل اليك؟ عميت عين لاتراك عليها رقيبا»**[٣]

«يا فؤادي دعْك من فرط المنىٰ ليس بالغائب من تهوىٰ ولا
من تُديم البحث عن لقياه، يخفىٰ إنَّما أبصارنا نحن تولاها العمىٰ»[٤]

فهو ظاهرٌ وكل ظهورٍ هو ظهورٌ له سبحانه وتعالى، ونحن بذاتنا حجبٌ، فأنانيتنا وأنيّتنا هي التي تحجبنا.

فلنلذ به ولنطلب منه تبارك وتعالى متضرعين مبتهلين ان ينجينا من الحجب **«الّهي هب لي كمال الانقطاع اليك وانر ابصار قلوبنا بضياء نظرها اليك حتى تخرق ابصارُ القلوب حجب النور فتصل إلى معدن العظمة وتصير أرواحنا معلقةً بعزٍّ**

٢ـ الحديد: ٣

٣ـ فقرات من دعاء الامام الحسين في يوم عرفة / مفاتيح الجنان: ٢٦١

٤- مضمون بيت من الشعر

قدسك، الّهي واجعلني ممن ناديته فأجابك ولاحظته فصعق لجلالك»[٥]

بنيّ:

نحن مازلنا رهن الحجب الظلمانية وبعدها الحجب النورية، ومازلنا في منعطف زقاقٍ ضيّق.

بنيّ:

اسع أن لاتُنكر المقامات الروحانية والعرفانية، مازلت لست من اهل المقامات المعنوية، فإن من أخطر مكائد الشيطان والنفس الأمارة بالسوء التي تصدُّ الانسان عن بلوغ جميع المدارج الانسانية والمقامات الروحانية هي دفع الانسان الى انكار السلوك الى الله والاستهزاء أحيانا، مما يجرُّ الى الخصومةِ والضدّية لهذا الأمر. وبذا فإن جميع الانبياء العظام (صلوات الله عليهم) والاولياء الكرام (سلام الله عليهم) والكتب السماوية خصوصاً القرآن الكريم ـ كتاب بناء الانسان الخالد ـ والتي جاءت لتحقيق هذا الأمر، سيموت اثرها قبل ان يولد.

فالقرآن الكريم ـ كتاب معرفة الله ومعرفة طريق السلوك اليه تعالى ـ تحوّل بأيدي الجاهلين من محبيّه إلى سبب جرِّهم للانحراف والانزواء، فولجوا يصدرون عنه الآراء المنحرفة ويفسّرونه بالرأي ـ الأمر الذي نهىٰ عنه جميع ائمة الاسلام عليهم السلام ـ وراح كل واحدٍ منهم يتصرف فيه بما تُمليه نفسانيته.

لقد نزل هذا الكتاب العظيم في بلدٍ وفي محيطٍ كان يمثّل أشدَّ حالةٍ من حالات الوقوع في الظلمة، كما نزل بين قومٍ يمثّلون اشدَّ الناس تخلّفاً في ذلك العصر، وقد أُنزل على شخصٍ وعلى قلبٍ الّهيٍّ لشخص كان يعيش في ذلك المحيط. كذلك فإن القرآن

٥ـ فقرات من المناجات الشعبانية: مفاتيح الجنان: ص ١٥٩

الكريم اشتمل على حقائق ومعارف لم تكن معروفة آنذاك في العالم اجمع فضلاً عن المحيط الذي نزل فيه، وإن من اعظم واسمىٰ معاجزه هي هـذه المسـائل العـرفانية العظيمة التي لم تكن معروفة لدىٰ فـلاسفة اليـونان، فـقد عـجزت كـتب ارسطو وافلاطون، اعظم فلاسفة ذلك العصر عن بلوغ معانيها، بـل الاشـدُّ مـن ذلك أنّ فلاسفة الاسلام الذين ترعرعوا في مهدالقرآن الكريم، وانتهلوا منه ما انتهلوا مـن مختلف المعارف لجأوا الى تأويل بعض الآيات التي صرّحت بحياة جميع الموجودات في العالم مثلاً، والحال ان عرفاء الاسلام العظام انما أخذوا ما قالوه منه، فكل شيءٍ اخذوه من الاسلام ومن القرآن الكريم. فالمسائل العرفانية المـوجودة في القـرآن الكريم ليست موجودة في أيّ كتابٍ آخر. وإنها لمعجزة الرسول الاكرمصلى الله عليه وآله إذ كان على درجةٍ عالية من المعرفة بالله تعالى بحيث ان البارى جلَّ وعلا كان يوضح له اسرار الوجود، وكان هوصلى الله عليه وآله بدوره يرىٰ الحقائق بوضوح ودون أي حـجاب، وذلك بعروجه وأرتقائه قمة كمال الانسانية وفي ذات الوقت كان حاضراً في جميع أبعاد الانسانية ومراحل الوجود، فمثَّلَ بذلك أسمىٰ مظهرٍ «**هو الاول والآخر والظاهر والباطن**»[٦] كما سعىٰ إلى رفع جميع الناس للوصول إلى تلك المرتبة، وكان يتحمّل الآلام والمعاناة حينما كان يراهم عاجزين عن بلوغ ذلك، ولعل قوله تعالى «**طـه، ماأنزلنا عليك القرآن لتشقىٰ**»[٧] اشارة خفيّة إلى هذا المعنىٰ، ولعل قولهصلى الله عليه وآله: «**مـا أُوذي نبيٌّ مثلما أُوذيت**»[٨] يرتبط أيضاً بذات المعنىٰ.

إنَّ اولئك الذين بلغوا هذا المقام أو مايماثله، لايختارون العـزلة عـن الخـلق او

٦ـ الحديد: ٣ ٧ـ طه: ١

٨ـ كنزالعمال: ح ٣٢١٦١

الانزواء، فهم مأمورون بإرشاد وهداية الضالّين إلى هذه التجلّيات ـ وان كانوا لم يُوفَّقوا كثيراً في ذلك أما اولئك الذين بلغوا مرتبة ما من بعض هذه المقامات و غابوا عن انفسهم بارتشاف جرعةٍ ما وظلوا بذلك في مقام الصّعق فانهم وان كانوا قد حازوا مرتبة ومقاماً عظيماً الا انهم لم يبلغوا كمال المطلوب. فقد سقط موسىٰ الكليم عليه السلام بحال الصعق نتيجة تجلي الحق وافاق بعنايةٍ الٓهية خاصة ثم أمر بتحمل أمرٍ ما، وكذا فإن خاتم النبيين، الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله أُمر ـ بعد بلوغه القمة من مرتبة الانسانية ومالاتبلغه العقول من مظهرية الاسم الجامع الاعظم ـ بهداية الناس بعد أن خاطبه تعالى «يا أيّها المدثر، قم فأنذر»[9].

ولدي العزيز: هدفت مما ذكرته لك ـ رغم اني لاشيٌ، بل اقلُّ حتى من اللاشيئ ـ أن ألفت نظرك إلى أنّك إن لم تبلغ مقاماً ما، فعليك أن لاتُنكِر المقامات المعنوية والمعارف الالٓهية، ولكي تصبح من أولئك الذين يحبّون الصالحين والعارفين وإن لم يكونوا منهم وحتى لاتغادر هذه الدنيا وأنت تكنّ بعض العداء لأحباب الله تعالىٰ.

بنّي:

تعرّف الى القرآن ـ كتاب المعرفة العظيم ـ ولو بمجرد قراءته، واجعل منه طريقاً إلى المحبوب، ولاتتوهمن ان القراءة من غير معرفةٍ لا أثرلها فهذه وساوس الشيطان، فهذا الكتاب كتابٌ من المحبوب اليك والى الجميع ـ وكتاب المحبوب محبوبٌ وان كان العاشق المحب لايدرك معنىٰ ماكُتب فيه ـ وقد جاء اليك هادفاً خلق هذا الأمر لديك، «حب المحبوب» الذي يمثل غاية المرام، فلعله يأخذ بيدك.

واعلم اننا لو انفقنا أعمارنا بتمامها في سجدةِ شكرٍ واحدة على ان القرآن كتابنا لما

٩ـ المدثر: ١، ٢

وفّينا هذه النعمة حقها من الشكر.

بنيّ:

إن الأدعية والمناجات التي وصلتنا عن الأئمة المعصومين عليهم السلام، اعظم دليل يرشد إلى معرفة الله جلَّ وعلا، واسمىٰ وسيلة لسلوك طريق العبودية، وارفع رابطةٍ بين الحق والخلق. كما انها تشتمل في طيّاتها على مختلف المعارف الالٓهية وتمثّل أيضاً وسيلة ابتكرها أهل بيت الوحي للانس بالله جلت عظمته، فضلاً عن أنها تمثل نموذجاً لحال اصحاب القلوب وأرباب السلوك. فلاتصدنّك وساوس الغافلين الجاهلين، عن التمسك أو الأُنس بها. إننا لو أمضينا أعمارنا بتمامها نقدم الشكر على ان هؤلاء المتحررين من قيود الدنيا والواصلين الى الحق هم أئمتنا ومرشدونا لما وفينا هذا الأمرحقه من الشكر.

بنيّ:

من الامور التي أودّ أن أوصيك بها وأنا على شفا الموت. اصعّد الانفاس الاخيرة: أن تحرص ـ مادمت متمتعاً بنعمة الشباب ـ على دقة اختيار من تعاشرهم وتصاحبهم، فليكن انتخابك للأصحاب من بين اولئك المتحررين من قيود المادة، والمتديّنين المهتمّين بالأمور المعنوية، ممن لا تغرهم زخارف الدنيا ولا يتعلقون بها، ولا يسعون في جمع المال وتحقيق الآمال في هذه الدنيا اكثر ممايلزم او اكثر من حدّ الكفاية، وممن لا تلوِّث الذنوب مجالسهم ومحافلهم، ومن ذوي الخلق الكريم. اسع في ذلك فإن تأثير المعاشرة على الطرفين من إصلاح وإفساد أمر لاشك في وقوعه. اسع ان تتجنب المجالس التي تُوقع الانسان في الغفلةِ عن الله فإن ارتياد مثل هذه المجالس قد يؤدّي الى سلب الانسان التوفيق، الأمر الذي يعدُّ بحدِّ ذاته خسارة لايمكن جبرانها.

اعلم أن في الانسان ـ ان لم نقل في كل موجود ـ حباً فطرياً للكمال المطلق وللوصول الى الكمال المطلق، وهذا الحب ممايستحيل ان يفارق الانسان تماماً، كما ان الكمال المطلق محال ان يتكرر او ان يكون اثنين، فالكمال المطلق هو الحق جلَّ وعلا والجميع يبحثون عنه، واليه تهفو قلوبهم ولا يعلمون، فهم محجوبون بحجب الظلمة والنور، لذا فهم يتوهّمون أنهم يطلبون شيئاً آخر غيره، ولذا تراهم لايقنعون بتحقيق أيّة مرتبةٍ من الكمال ولا بالحصول على أيّ جمالٍ اوقدرة أومكانة، فهم يشعرون انهم لايجدون في كل ذلك ضالّتهم المنشودة، فالمقتدرون ومن يمتلكون القدرة الكبرىٰ، في سعيّ دائم للحصول على القدرة الأعلىٰ مهما بلغوا من القدرة، وطلاب العلم يطلبون الدرجة الأعلى من العلم مهما بلغوا منه، وهم يشعرون دوماً انهم لم يجدوا ضالّتهم، و في الحقيقة هم غافلون عنها.

ولو أُعطي الساعون الى القدرة والسلطة، التصرف في جميع العالم المادي من الارضين والمنظومات الشمسية والمجرات بل وكل ما هو فوقها، ثم قيل لهم: ان هناك قدرةً فوق هذه القدرة التي تملكونها، او ان هناك عالماً اوعوالم اخرىٰ فوق هذا العالم فهل تريدون الوصول اليها؟ فانهم من المحال ان لايتمنون ذلك، بل انهم من المحتم ان يقولوا بلسان الفطرة: ليتنا بلغنا ذلك أيضاً!. وهكذا طالب العلم، فهو إن ظنَّ ان هناك مرتبة اخرىٰ، غير ما بلغه، فانّ فطرته الباحثة عن المطلق ستقول : يا ليت لي هذه القدرة، أويا ليت لي سعةً من العلم تشمل تلك المرتبة ايضاً!

وعليه فإن مايُطمئِنُ النفس المنفلتة ويهدّىء من هيبها ويحدُّ من إلحاحها واستزادتها في الطلب، انما هو الوصول اليه تعالى، والذكر الحقيقي له جلَّ وعلا؛ لأن الاستغراق في ذلك فقط، هوالذي يبعث الطمأنينة والهدوء، وكأنّ قوله تعالى «الا

بذكر الله تطمئن القلوب»[١٠] نوع من الإعلان ان: انتبه! انتبه! عليك ان تـلجأ الى ذكره حتى تحصل على الطمأنينة لقلبك القلق الحيران الذي يواصل القفز من جانبٍ الى جانب والطيران من غصنٍ الى غصن.

اذن فما دام الله سيبعث في قلبك الطمأنينة بذكره، فاستمع ياولدي العزيز لنصيحة أبٍ عانىٰ من الحيرة والقلق ولاتتعب نفسك بالانتقال من باب الى باب، للوصول الى هذا المنصب اوتلك الشهرة اوماتشتهيه النفس، فانت مهما بلغت من مقام فأنك سوف تتألم وتشتد حسرتك وعذاب روحك لعدم بلوغك ما فوق ذلك وإن سألتني: لِمَ لم تعمل انت بهذه النصيحة ؟ أجبتك بالقول: **لا تنظر الى من قال، ولكن انظر الى ماقيل.**[١١] فما قلته لك صحيح، حتى وإن صدر عن مجنونٍ أومفتون، يقول تعالى في محكم كتابه العزيز «**ما أصاب من مصيبةٍ في الأرض ولا في انفسكم إلا في كتابٍ من قبل ان نبرأها إن ذلك على الله يسير**» ثم يتبع ذلك بقوله «**لكيلا تأسوا على مافاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختالٍ فخور**».[١٢] فالانسان في هـذا العـالم معرّضٌ لأمورٍ شتىٰ، فهو عرضةٌ احياناً لأن تنزل به المصائب، كما أنـه قـد يـلاقي إقبالاًمن الدنيا فيبلغ فيها المقام والجاه ويحصل على المال ويحقّق آمانيه وينال القدرة والنعمة، وكلا الحالين ليس بثابتٍ، فلاينبغي ان تحزنك المصائب والحرمان فتفقدك صبرك، لانها قد تكون احياناً في نفعك وصلاحك «**وعسىٰ ان تكرهوا شيئاً وهـو خير لكم**»[١٣] كما لا ينبغي ان تدفعك الدنيا بإقبالها عليك وتحقيقها مايُشبع شهواتك

١٠ـ الرعد: ٢٨

١١ـ في غررالحكم: فصل ٣٠ / ح ١١ ورد النص «انظر الى ماقال ولا تنظر الى من قال»

١٢ـ الحديد: ٢٢ و٢٣

١٣- البقرة: ٢١٦

الى ان تتكبر وتختال على عباد الله، فما أكثر ما تعدّه انت خيراً وهو شرٌ لك.

بنيّ:

ان السبب الرئيس للندم وأساس ومنشأ جميع ألوان الشقاء والعذاب والمهالك ورأس جميع الخطايا والذنوب انما هو «حب الدنيا» الناشئ من «حب النفس» بيد أنه ينبغي القول ان عالم الملك ليس مبغوضاً ولا مذموماً في حدٌ ذاته، فهو تجلي الحق ومقام ربوبيته تعالى ومهبط ملائكته ومسجد ومكان تربية الانبياء والاولياء عليهم السلام ومحراب عبادة الصلحاء، وموطن تجلي الحق على قلوب عاشقي المحبوب الحقيقي، فإن كان حب «عالم الملك» والتعلق به ناشئ عن حب الله باعتباره محلاً لتجليات الحق جلَّ وعلا، فهو أمر محثوثٌ عليه ويستوجب الكمال، اما اذا كان منشؤه حب النفس فهو رأس الخطايا جميعاً. اذن فالدنيا المذمومة هي في داخلك انت، والتعلق بغير صاحب القلب وحبه، هو الموجب للسقوط وفي الوقت نفسه فإن ايّ قلبٍ لايمكنه ـ فطرياً ـ أن يتعلق بغير صاحب القلب الحقيقي، وجميع المخالفات لأوامر الله وجميع المعاصي والجرائم والجنايات التي يبتلي بها الانسان، كلها من «حبالنفس» الذي يولّد «حب الدنيا» وزخارفها وحب المقام والجاه والمال ومختلف الأماني هي التي تجعلنا نَميلُ خطأً واشتباهاً نحو غير صاحب القلب وهي ظلماتٌ فوقها ظلمات.

نحن وامثالنا لم نصل الحجب النورانية بعد، ومازلنا أسرىٰ الحجب الظلمانية! فمن قال: **«هب لي كمال الانقطاع اليك وأنرْ أبصار قلوبنا بضياء نظرها اليك حتى تخرق أبصارُ القلوب حجبَ النور فتصل الى معدن العظمة»** فقد اخترق الحجب الظلمانية وتعدّاها. اما الشيطان الذي خالف امر الله ولم يسجد لآدم، فقد رأىٰ نفسه عظيماً،

لأنه كان في الحجب الظلمانية و«...أناخيرٌ منه خلقتني من نارٍ...»[١٤] جعلته يُطرد ويُبعد عن ساحة الربوبية! نحن أيضاً مازلنا في حجاب النفس والانانية فنحن شيطانيّون، مطرودون من محضرالرحمن، ومااصعب تحطيم هذا الصنم الذي يعدُّ «أمّ الاصنام». فنحن مادمنا خاضعين له مطيعين لاوامره، فنحن غير خاضعين لله جلَّ وعلا، غير طائعين لاوامره؛ ومالم يُحطَّم هذا الصنم فإن الحجب الظلمانية لن تتمزق ولن تُزال. وحتى يتحقق ذلك، علينا ان نعرف ماهية الحجاب اولاً، فنحن اذا لم نعرفه لن نستطيع المبادرة الى إزالته او تضعيف أثره او في الاقل الحدِّ من تزايد رسوخه وقوته بمرور الوقت.

روي أنّ بعض الاصحاب كانوا يجالسون الرسول الاكرمﷺ فسُمع صوتٌ مهيب، فسألوا: ماهذا الصوت؟ فقالﷺ: انه صوت حجركان قد أُلقي الى جهنم قبل سبعين سنة، وقد بلغ قعرها الآن "[١٥]. بعدها علموا أنّ كافراًكان قد مات حينها عن سبعين سنةٍ من العمر. واذا صح الحديث فإنّ من سمعوا الصوت لابد انهم كانوا من اهل الحال ، أو قد يكون الأمر قدتمَّ بقدرة الرسول الاكرمﷺ قاصداً اسماع الغافلين وتنبيه الجاهلين.

اما اذا لم يصح الحديث ـ ولا اذكره بالنص ـ فإن الأمر في حقيقته كذلك، فنحن نسير عمراً بكامله باتجاه جهنم، فنحن نمضي العمر بتمامه نؤدي الصلاة ـ التي تعدُّ اكبر ذكرىٰ من الله المتعال ـ ونحن معرضون عن الحق تعالىٰ وعن بيته العتيق متوجهين الى الذات والى بيت النفس، وما اشدَّ الألم في ذلك، فالصلاة التي ينبغي ان تكون معراجاً لنا وتدفعنا نحوه تعالى وتكون جنّة لقائه تعالى، نؤدّيها ونحن

١٤ـ الاعراف: ١٢ وص: ٧٦

١٥ـ علم اليقين: ٢/١٠٠٢

متوجهين الى النفس والى منفىٰ جهنم.

بنيّ:

لم اقصد من هذه الاشارات ايجاد السبيل لأمثالي وامثالك لمعرفة الله وعبادته حق العبادة ـ مع أنه قد أُثر عن أعرف الموجودات بحق الحق تعالى، واعرفها بحق العبادة له جل وعلا، قوله «**ما عرفناك حق معرفتك وما عبدناك حق عبادتك**»[١٦] وإنما لاجل ان نفهم عجزنا وندرك ضآلتنا، ونهيل التراب على فرق أنانيتنا لعلّنا بذلك نكبح جماح هذا الغول، ولعلنا نلجمه بعد ذلك ونروّضه، فنتحرر بعدها من خطر عظيم يكوي ـ بمجرد تذكره ـ الروح ويحرقها.

وعليك ان تنتبه! فهناك خطرٌ قد يعترض الانسان في اللحظات الأخيرة من عمره وهو يهمّ بمغادرة هذا العالم والانتقال الى مستقره الأبديّ، فإن ذلك قد يجعل المبتلىٰ بحب النفس وما يولّده من حب الدنيا ـ بأبعاد هما المختلفة ـ يرىٰ وهو في حال الاحتضار ـ وحيث تنكشف للانسان بعض الأمور فيراها عياناً ـ أن «مأمورالله» جلَّ وعلا سببٌ في فصله عن محبوبه ومعشوقه! فيرحل عن هذه الدنيا وهو غاضب على الله جلَّ وعلا متنفرٌ منه! وهذه عاقبة وثمرة حب النفس والدنيا، وقدأشارت الى ذلك الروايات المختلفة.

ينقل احد المتعبدين الثقاة فيقول: «ذهبت لزيارة احدهم وكان يحتضر، فقال وهو على فراش الموت: إنَّ الظلم الذي لحقني من الله تعالى لم يلحق احدٌ من العالمين، فهو يريد ان يأخذني من أطفالي الذين صرفت دم القلب في تربيتهم ورعايتهم!، فقمت من عنده ثم أسلم روحه إلى بارئها». لعل هناك بعض التفاوت بين مانقلته

١٦- مرآة العقول: ج ٨/ص ١٤٦ (كتاب الايمان - باب الشكر)

وما سمعته من ذلك العالم المتعبد، على أيّة حال فان صحَّ ذلك فهو أمرٌ على درجةٍ خطيرةٍ من الأهمّية تدفع الانسان الى التفكير بجدّية في أمر خاتمته وعاقبته!.

اننا لو فكرنا ساعة في أمر موجودات العالم ـ التي نمثل نحن جزءاً منها ـ وادركنا ان ايّ موجودٍ ليس لديه شيءٌ من نفسه، وان ما وصله وما وصل الى الجميع انما هي ألطافٌ الٰهية ومواهب عارية، وأن الالطاف التي مَنّ الله تعالى بها علينا ـ سواءٌ قبل أن نأتي الى الدنيا اوخلال حياتنا فيها ومنذ الطفولة الى آخر العمر، او بعدالموت ـ بواسطة الهداة الذين كُلِّفوا بهدايتنا، فلعل بارقة من حبه جلَّ وعلا ستلوح في أفق وجودنا، الامر الذي حُجبنا عنه، فندرك بعدها مدىٰ ضئآلتنا وتفاهتنا فُيفتحُ بذلك لنا طريقٌ نحوه جلَّ وعلا، وننجو في الأقل من «الكفر الجهوري» وانكار المعارف الالٰهية، ونمتنع عن عدِّ المظاهر الرحمانية مقامات لنا، والمفاخرة بها، الأمر الذي سيبقينا أسرىٰ الوقوع في بئر ويلِ الانانية والغرور الى الأبد.

يُروىٰ ان «الله تعالى خاطب أحد أنبيائه فطلب اليه ان يأتيه بمخلوق أدنى منه، فقام النبي بعد ذلك بسحب رفاة حمار يقصد عرضها على أنها مخلوق أدنىٰ منه، إلا انه نَدِم فتركها، فلما وصل وحده إلى لقاء الله خاطبه عزوجل بالقول: لوانك أتيتني بتلك الرفاة لكنت سقطت عن مقام النبوة". واني أجهل مدىٰ صحة الحديث ولكن، لعلَّ الأمر بالنسبة لمقام الأولياء، يعدّ سقوطاً حينما يرون الأفضلية لانفسهم على غيرهم، فتلك أنانية وغرور، وإلا فلِمَ كان النبي الأكرمﷺ يأسف ذلك الأسف المرير على المشركين ومن لم يؤمنوا، الى الحدّ الذي جعل الله تعالىٰ يخاطبه بالقول «لعلك باخعٌ نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا»[١٧] فهذا ليس

١٧- الكهف: ٦

سوىٰ انه عشق جميع عباد الله، فالعشقُ لله عشقٌ لتَجلّياته ومظاهر عظمته.

فهو ﷺ يتألم مماتؤدي اليه حجب الانانية والغرور الظلمانية في المنحرفين من دفعهم إلى الشقاء ثم العذاب الاليم في جهنم ـ النتيجة الطبيعية لأعمالهم ـ في حين أنه يريد السعادة للجميع، فهو مبعوث لتحقيق السعادة للجميع، والمشركون المنحرفون عُمي القلوب وقفوا بوجهه ونصبوا له العداء رغم أنه جاء لانقاذهم!.

انا وانت اذا وُفّقنا إلى ايجاد بصيصٍ من هذا العشق لتجليات الحق، الذي يميّز أولياء الله في انفسنا، وأحببنا الخير للجميع فقد بلغنا مرتبةً من كمال المطلوب.

اللهم أَفِضْ على قلوبنا الميّتة من فيضِ رحمتك ومن فيض الرحمة المصطفاة الذي بعثته رحمة للعالمين.

اهل المعرفة يعلمون بأن الشدة على الكفار ـ وهي من صفات المؤمنين ـ وقتلهم أيضاً رحمةٌ ولطفٌ من الألطاف الخفية للحق، فالعذاب ـ الذي هو من أنفسهم ـ يزداد على الكفار مع كل لحظةٍ تمرُّ عليهم، زيادة كمية وكيفية الى ما لا نهاية له. لذا فإن قتلهم ـ وهم ميؤسٌ من صلاحهم ـ رحمةٌ في صورة غضب ونعمةٌ في صورة نقمة، علاوة على الرحمة التي ستنال المجتمع بقتلهم، فهم عضوٌ كان يمكن ان يجرَّ المجتمع كله الى الفساد، والقضاء عليهم يُشبه الى حدٍّ كبير قطع العضو المعطوب من البدن مخافة ان يؤدي عدم قطعه بالبدن كله الى التّلف والهلاك. وهذا هو الذي جعل نوحاً يدعو الله «...رب لا تذر على الارض من الكافرين ديّارا، انك ان تذرهم يُضلّوا عبادك ولا يلدوا إلاّ فاجرا كفّارا»[١٨] وهو ايضاً المراد بقوله تعالى «وقاتلوهم حتىٰ لا تكون فتنة»[١٩] وعلى هذا وعلى ماسبقه، كانت الحدود

١٨ـ نوح: ٢٦، ٢٧

١٩ـ البقرة: ١٩٣

والتعزيرات والقصاص رحمة من أرحم الراحمين بمرتكب الجرم أولاً، وبالمجتمع بأسره ثانياً.

ولنتخطّى هذه المرحلة.

بنيّ:

اذا استطعت ـ بالتفكر والتلقين ـ فاجعل نظرتك الى جميع الموجودات وخصوصاً البشر نظرة رحمة ومحبة. وإلا أليست الموجودات كافة ـ والتي لا حصر لها ـ واقعة تحت رحمة خالق العالمين من جهاتٍ عديدة ؟ ثم أليس وجودها و حياتها وجميع بركاتها وآثارها من رحمات ومواهب الله على الموجودات ؟ وقيل: «كل موجود مرحوم» وإلا فهل يمكن لموجود ممكن الوجود ان يكون له شيٌ من نفسه، أو ان يستطيع موجود (ممكن الوجود) مثله ان يعطيه شيٌ ما؟. عليه فإن الرحمة الرحمانية هي الشاملة للعالم بأسره. ثم أليس الله هو رب العالمين وتربيته تشمل العالم، وأليست تربيته مظهراً للرحمة؟ وهل يمكن ان تكون الرحمة والتربية شاملة للعالم دون اقترانها بالعناية والألطاف الإلٰهية؟ إذن لِمَ لايكون من شملته العنايات والألطاف والمحبة الالٰهية موضعاً لمحبتنا؟ واذا لم يكن هذا الأمرمنا، أليس هو نقص فينا؟ أليس هو ضيق أفق وقصر نظر من قبلنا؟.

انتبه ياولدي! فقد بلغتُ انا الشيخوخة دون أن اتمكن من علاج هذه النقيصة أو سواها من النقائص التي لا تحصىٰ، وأنت مازلت شاباً ولاشك أنّك أقرب الى رحمة وملكوت الحق، فاسع في علاج هذه النقيصة وفّقك الله ووفقنا والجميع لاختراق هذا الحجاب والتحلّي بما تقتضيه فطرةُ الله.

تعرضت فيما سبق الى جانبٍ من هذا الأمر، ودعني الآن أشير بوضوحٍ الى

مايساعد في اختراق هذا الحجاب:

نحن مفطورون على العشق للكمال المطلق، ومن هذا العشق ـ شئنا ام ابينا ـ ينشأ العشق لمطلق الكمال الذي يمثل آثار الكمال المطلق، والأمر الملازم لفطرتنا هذه هو السعي للخلاص من النقص المطلق مما يستلزم أن تنطوي انفسنا على الرغبة في الخلاص من مطلق النقص ايضاً.

اذن، نحن ـ رغم عدم علمنا وعدم فهمنا ـ عاشقون للحق تعالىٰ، لأنه الكمال المطلق وبذا فنحن نعشق آثاره التي هي تجلّيات الكمال المطلق، وايُّ شخص أو أيّ شيىء نكرهه ونبغضه أو نحاول التخلص منه فهو لا كمال مطلق ولا مطلق الكمال، بل نقص مطلق او مطلق النقص ـ الأمر الذي يقف في الجهة المقابلة وعلى النقيض من الأول تماماً ـ ولا شك ان نقيض الكمال هو عدم الكمال، ولأننا محجوبون فإننا نضلّ في التشخيص، ولوزال الحجاب لا تّضح لنا أن كلَّ ما هو منه جلَّ وعلا محبوب، وكل ما هو مبغوض من قبلنا فهو ليس منه تعالى، وهو بالتالي ليس موجوداً.

واعلم ان هناك تساهلاً في التعبيرات الواردة فيما يخصّ المتقابلات، والموضوع اعلاه، رغم موافقته للبرهان المتين وللآراء العرفانية والمعرفة ورغم ماورد في القرآن الكريم من إشاراتٍ اليه، الا ان التصديق والايمان به في غاية الصعوبة، ومنكريه في غاية الكثرة، والمؤمنين به قلة نادرة، فحتىٰ اولئك الذين يعتقدون بثبوت هذه الحقيقة عن طريق البرهان لا يؤمن بها منهم الا قلة قليلة، فالايمان بأمثال هذه الحقائق لايُحرز إلا بالمجاهدة والتفكر والتلقين.

وقد يبدو للوهلة الاولى أن هذا الادعاء (بأن بعض الامور البرهانية يمكن ان

لاتكون موضعاً للتصديق والايمان) عقدةٌ يصعبُ الاقتناع بها، بـل لعـل البـعض قديقطع بأنه أمر لا أساس له. ولكن ينبغي أن تعلم بان هذا الأمر أمر وجداني وقد وردت اشارات اليه في القرآن الكريم، كالآيات الكريمة من سورة التكاثر.

ولإِثباته عن طريق الوجدان، نورد المثال التالي: انت تعلم بان الموتىٰ لا تصدر عنهم أية حركة وانهم لا يستطيعون إلحاق الأذىٰ بك، وأن الموتىٰ لايعادلون ذبابةً حية واحدة من حيث الأثر والفعالية، كما تدرك انهم لايمكن ان يعودوا الى الحياة في هذا العالم بعد موتهم وقبل يوم النشور، إلا انك قد لاتمتلك القدرة عـلى النـوم وحيداً براحةٍ في المقابر، هذا ليس إلاّ لأن قلبك لم يصدق بماعندك من عـلم، وأن الايمان بهذا الأمر لم يتحصّل لديك، في حـين أنّ اولئك الذيـن يـقومون بـتغسيل وتكفين الموتىٰ تحصّل لهم الايمان واليقين بهذا الأمـر نـتيجة تكـرار العـمل، فـهم يستطيعون الخلوة مع الموتى براحة بال واطمئنان. كذلك فإن الفلاسفة الذين أثبتوا بالبراهين العقلية ان الحق حاضرٌ في كل مكان، دون ان يصل قـلوبهم مـا اثـبتته عقولهم بالبرهان، ولم تؤمن به قلوبهم، فإن أدب الحضور لن يتحقق لديهم، في حين ان اولئك الذين أيقنوا بحضور الحق بقلوبهم وآمنت قلوبهم بذلك فإنهم ـ رغم ان لاعلاقة لهم بالبراهين فإنّهم يتحلّون بأدب الحضور وَيجتنبون كلَّ ماينافي حضور المولىٰ. فالعلوم المتعارفة إذن وإن كانت علوم فلسفةٍ وتوحيد لكنها تعدُّ في حدِّ ذاتها حجباً، وهي تزيد الحجاب غلظاً وسمكاً كلما زادت، كذلك فإننا نعلم جميعاً ونرىٰ بأنَّ دعوة الانبياء عليهم السلام والأولياء الخلص لله لاتتّخذ الفلسفة والبرهان المـتعارف لسان حالٍ لها، بل انهم يهتمون بأرواحِ وقلوب الناس ويسعون في ايصال نـتائج البراهين الى قلوب العباد، وبذل الجهد لهدايتهم من داخل الروح والقلب.

وإن شئت فقل: ان الفلاسفة واهـل البراهـين يـزيدون الحـجب، في حـين أن الانبياء عليهم السلام وأصحاب القلوب يسعون في رفعها، لذا ترىٰ أن من تربّوا على ايدي الانبياء مؤمنون وعاشقون، في حين ان طلاب علماء الفلسفة اصحاب برهانٍ وقيلٍ وقال لاشأن لهم بالقلب والروح.

وليس معنىٰ ما اوردته ان تتجنب الفلسفة والعلوم البرهـانية والعـقلية، أو أن تشيح بوجهك عن العلوم الاستدلالية، فهذا خيانة للعقل والاستدلال والفلسفة، فأنا اقصد القول: بان الفلسفة والاستدلال وسيلة للوصول الى الهدف الأصلي، فلا ينبغي والحال كذلك أن تحجبك عن المقصد والمقصود والمحبوب.

او فقل: إن العلوم معبرٌ نحو الهدف وليست الهدف بحد ذاتهـا، فـكما أن الدنـيا مزرعة الآخرة، كذا فإن العلوم المتعارفة مزرعةٌ للوصول الى المقصود، تماماً كما أن العبادات معبرٌ نحو الله جـلَّ وعـلا، فـالصلاة ـ وهـي اسمـىٰ العـبادات ـ مـعراج المؤمن[٢٠]. وجميع هذه الامور منه واليه تعالى.

وإن شئت فقل: ان المعروف بجميع أنواعه درجـات في سـلم الوصـول الى الله تعالى، وجميع المنكرات موانع في طريق الوصول، والعالم بأسره يبحث عنه تعالى، ويحوم كالفراش باحثاً عن جماله الجميل. ويا ليتنا نصحو من نومتنا ونلج أول منزل وهواليقظة! ولعله جلَّ وعلا يأخذ بأيدينا بألطافه وعناياته الخـفيّة فـيرشدنا إلى جماله الجميل، ويا ليت ان هذه الفرس الجموح تهدأ قليلاً فتنزل عن مقام الانكار، وليت اننا نُلقي بهذا العبء الثقيل من على كواهلنا إلى الارض فننطلق مخفّين نحوه تعالىٰ! وليت اننا نحترق كالفراش في شمع جماله دون ان نتكلم! ويااليتنا نخطو خطوة

٢٠ـ الاعتقادات (المجلسي): ص ٢٩

واحدة بقدم الفطرة ولا نبتعد عن طريقها بهذا القدر، و...، و...، والآف التمنيات والأمنيات الاخرىٰ التي تزدحم في ذاكرتي وأنا على شفير الموت في شيخوختي هذه، ولكن دون ان تصل يدي إلى مكانٍ ما!.

وانت يا بنيّ:

استفد من شبابك، وعُد بذكره ومحبته جلَّ وعلا، الى العيش وتمضية العمر بالفطرة، فذكر المحبوب لا يتنافىٰ مع الفعالية السياسية والاجتماعية أو السعي في خدمة شريعته وعباده جلّ وعلا، بل أنهُ سيعينك ـ وأنت تسلك الطريق اليه ـ ولكن لتعلم بان خدع النفس الأمارة بالسوء وشيطان النفس والمحيط كثيرةٌ، فما أكثر ما يبتعد الانسان عن الله باسم الله واسم الخدمة لخلق الله، ويُساق نحو نفسه وآمالها؛ لذا كانت مراقبة النفس ومحاسبتها في تشخيص طريق الانانية عن طريق الله من جملة منازل السالكين، وفّقنا الله واياكم لبلوغ ذلك.

وما اكثر ما يخدعنا شيطان النفس ـ نحن الشيّب وانتم الشبّان ـ بوسائل مختلفة فهو دائم الجري وراءنا ـ نحن الشيوخ ـ يواجهنا بسلاح اليأس من الحضور وذكرالحاضر فينادي: لقد فاتكم العمر، وتصرّم وقت الإصلاح ومضت أيّام الشباب التي كان ممكناً فيها الاستعداد والاصلاح، ولا قدرة لكم في أيام ضعف الشيخوخة هذه على الاصلاح فقد استحكمت جذور شجرة الأهواء والمعاصي في جميع أركان وجودكم وتشعّبت فروعها، فأبعدتكم عن اللياقة بمحضره جلَّ وعلا، وضاع كلُّ شيءٍ! فما أحرىٰ ان تستفيدوا من هذه الايام الباقية من أعماركم أقصىٰ مايمكن من الاستفادة وهكذا.

وقد يتصرف معنا احياناً بنفس الطريقة التي يتصرف بها معكم ايها الشبان، فهو

يقول لكم: انتم شبانٌ، ووقت الشباب هذا هو وقت التمتع والحصول على اللـذات، فاسعوا الآن بما يساهم في إشباع شهواتكم، ثم توبوا ان شاء الله في أواخر أعمارکم فإن باب رحمة الله مفتوح والله ارحم الراحمين، وكلما زادت ذنـوبكم فـإن النـدم والرغبة في الرجوع الى الحـق سـيزداد، وسـيكون التـوجه الى الله تـعالى اكـبر والاتصال به جلَّ وعلا اشدّ، فما اكثر اولئك الذين تمتعوا في شبابهم ثم أمضوا آخر أيامهم بالعبادة والذكر والدعاء وزيارة مراقد الأئمـةعليهم السلام والتـوسل بشـفاعتهم، فرحلوا عن هذه الدنيا وهم سعداء! تماماً هكذا يتصرف معنا نحن الشيوخ، فيأتينا بأمثال هذه الوساوس فيقول لنا: ليس معلوماً أن تموتوا بهذه السرعة، فـالفرصة مازالت موجودة فلتؤجلوا التوبة الى آخـر العـمر، فـضلاً عـن ان بـاب شـفاعة الرسولصلى الله عليه وآله واهل بيته مفتوح، وإن اميرالمؤمنينعليه السلام لن يتخلىٰ عن محبيه ويتركهم يتعذبون، فسوف ترونه عند الموت، وسوف يأخذ بايديكم وأمثال هذه الوساوس الكثيرة التي يلقي بها في سمع الإنسان.

بنيّ:

أتحدث اليك الآن لانك مازلت شاباً، عليك عن تنتبه الى ان التوبة أسهل على الشبان، كما إن اصلاح النفس وتربيتها يتم بسرعة اكبر لدىٰ الشبان، في حـين ان الاهواء النفسانية والسعي للجاه وحب المال والغرور اكثر واشدّ بكثير لدىٰ الشيوخ منه لدىٰ الشبان. أرواح الشبان رقيقة شفافة سهلة القياد، وليس لدى الشبان من حب النفس وحب الدنيا بقدر مالدىٰ الشيوخ. فالشاب يستطيع بسهولةٍ ـ نسبياً ـ أن يتخلص من شر النفس الامارة بالسوء ويتوجّه نحو المعنويات. وفی جـلسات الوعظ والتربية الاخلاقية يتأثر الشبان بدرجة كبيرةٍ لاتحصل لدى الشيوخ. فلينتبه

الشبان وليحذروا من الوقوع تحت تأثير الوساوس النفسانية والشيطانية فالموت قريب من الشبان والشيوخ على حدٍّ سواء، وايٌّ من الشبان يستطيع الاطمئنان الى انه سيبلغ مرحلة الشيخوخة؟ وايُّ انسانٍ مصونٌ من حوادث الدهر؟ بل قد يكون الشبان أكثر تعرضاً لحوادث الدهر من غيرهم.

بنيّ:

لاتضيع الفرصة من يديك، واسع لاصلاح نفسك في مرحلة الشباب.

على الشيوخ ايضاً ان يعلموا انهم ماداموا في هذا العالم فانهم يستطيعون جبران ماخسروا وماضيّعوا وان يكفّروا عن معاصيهم، فإن الأمر سيخرج من ايديهم بمجرد انتقالهم من هذا العالم والتعويل على شفاعة اولياء الله عليهم السلام، والتجرؤ في ارتكاب المعاصي من الخدع الشيطانية الكبرىٰ. وتأمّل انت يامن تعوّل على شفاعتهم غافلاً عن الله ومتجرأً على المعاصي، تأمل في سيرتهم، وانظر في أنينهم وبكائهم ودعائهم وتحرقهم وذوبانهم امام الله، واعتبر من ذلك.

يرويٰ ان الصادق عليه السلام جمع اهل بيته في اواخر عمره وقال لهم «انكم ستردون على الله بأعمالكم، فلاتظنوا ان قرابتكم لي ستنفعكم يوم القيامة»[٢١]. وان كان هناك احتمال بأن تنالهم الشفاعة لان الارتباط المعنوي حاصل بينهم وبين الشافع لهم، فالرابطة الالّهية بينهم تجعلهم مؤهلين اكثر من غيرهم لنيل الشفاعة، وان لم يحصل هذا الامر لهم في هذا العالم، فلعله يحصل لهم بعد تنقيات وتزكيات وانواعٍ من العذاب البرزخي، اوالجهنمي حتىٰ يصبحون بعده لائقين للشفاعة، والله العالم بحدود ماسيصيبهم.

فضلاً عن هذا فإن الآيات التي وردت في القرآن الكريم حول الشفاعة، لاتبعث

٢١- بحارالانوار: ج ٤٧/ص ٢/ح ٥

ـ بعد التأمل فيها ـ الاطمئنان في الانسان، قال تعالى **«من ذا الذي يشفع عنده الا بإذنه»**[٢٢] وقال **«ولا يشفعون الا لمن ارتضىٰ»**[٢٣] وامثال ذلك من الآيات التي تثبت موضوع الشفاعة ولكنها في الوقت نفسه لاتبعث الاطمئنان لدىٰ الانسان ولا تسمح له بالاغترار بها، لانها لم توضح من هم اولئك الذين ستكون الشفاعة من نصيبهم، أو ما هي شروطها، ومتى تكون شاملة لهم.

نحن نأمل بالشفاعة ولكن ينبغي ان يدفعنا هذا الأمل نحو طاعة الحق تعالى لا نحو معصيته.

بنيّ: احرص على ان لاتغادر هذا العالم بحقوق الناس فما اصعب ذلك وما أقساه. واعلم ان التعامل مع ارحم الراحمين أسهل بكثيرٍ من التعامل مع الناس. نعوذ بالله تعالى انا وانت وجميع المؤمنين من التورط في الاعتداء على حقوق الآخرين، او التعامل مع الناس المتورطين.

ولا اقصد من هذا دفعك للتساهل بحقوق الله والتجرئ على معاصيه، فلو اننا اخذنا بنظر الاعتبار مايستفاد من ظاهر بعض الآيات الكريمة، فإن البلية ستزداد باطراد، ونجاة اهل المعصية بالشفاعة يتم بعد المرور بمراحل طويلةٍ و معقدة. فتجسم الاخلاق والاعمال ومايستتبع ذلك من ملازمتها للانسان الى ما بعد الموت والى القيامة الكبرىٰ ثم الى ما بعدها حتى الوصول الى التنزيه وقطع الروابط بنزول الشدائد والعذاب بمختلف اشكاله في البرازخ وفي جهنم، وعدم التمكن من الارتباط بالشفيع والاشتمال بالشفاعة، كلها امور يؤدي التفكير فيها الى إثقال كاهل الانسان، ويدفع المؤمنين نحو الجدية في الاصلاح، ولايمكن لاي شخصٍ ان يدعي انه يقطع

٢٢ـ البقرة: ٢٥٥ ٢٣ـ الانبياء: ٢٨

بخلاف هذه الاحتمالات الا اذا كان شيطان نفسه قد تسلط عليه بدرجةٍ عالية حتى راح يتلاعب به ويصدّه عن طريق الحق فيجعله مُنكراً لا يفرق بين الضوء والظلام، وامثال هؤلاء من عُمي القلوب كثير حفظنا الله من شرور انفسنا.

وصيتي اليك يا بنيّ ان لا تدع الفرصة تضيع من يديك ـ لاسمح الله ـ وان تسعىٰ في اصلاح اخلاقك وتصرفاتك، وان كان بتحمل المشقة والترويض، وان تَحُدَّ من تعلقك بالدنيا الفانية وتختار طريق الحق اينما اعترضك مفترقٌ للطرق، وان تجتنب طريق الباطل وتطرد شيطان النفس عنك.

كذلك فإن من الامور الهامة التي ينبغي ان اوصي بها: الحرص على إعانة عباد الله، خصوصاً المحرومين والمستضعفين المظلومين، الذين لاملاذ لهم في المجتمعات، فابذل ما في وسعك في خدمتهم ـ فذلك خير زاد وهو من افضل الاعمال لدى الله تعالى، ومن افضل الخدمات التي تُقدم للاسلام العظيم ـ أسع في خدمة المظلومين وفي حمايتهم في مقابل المستكبرين الظلمة.

واعلم ان المشاركة في امور السياسة والاجتماع الصحيحة، احدىٰ الوظائف الهامة في عهد الحكومة الاسلامية، كذلك فإن مساعدة ودعم المسؤولين والمتصدين لادارة امور الجمهورية الاسلامية مسؤولية اسلامية وانسانية ووطنية. املي ان لايغفل الشعب المجيد والواعي عن هذه المسؤولية، وعليهم ان يواصلوا ـ وكما هو شأنهم حتىٰ الآن، إذ كانوا حاضرين في الساحة دوماً، حتى ان الحكومة الاسلامية والجمهورية ما استطاعت الاستقرار والبقاء إلا بدعمهم ـ عليهم ان يواصلوا دورهم هذا في المستقبل ايضاً، واني مفعم بالأمل ان يواصل الجيل الحاضر والاجيال القادمة وقوفهم بوفاءٍ مع الجمهورية الاسلامية ودعمها ما استطاعوا الى

ذلك سبيلا، ليكونوا سبباً في ديمومتها واستقرارها.

وعلينا جميعاً ان نعلم باننا مادمنا على عهدنا مع الله تعالى، فإنه معنا، وكما ساعدَنا سبحانه وتعالى الى الآن بالقضاء على مؤامرات المجرمين في الداخل والخارج وبشكلٍ اعجازي فإنه سيقضي عليها مستقبلاً ايضاً بتأييداته ان شاء تعالىٰ.

والأمل ان يكون ابناء جيشنا وحراس ثورتنا وابناء قوات التعبئة الشعبية وسائر القوات العسكرية والأمنية وجماهير شعبنا قد تذوقوا حلاوة الاستقلال والخروج من اسر القوى الدولية الكبرىٰ الناهبة، وآمل ان يرجحوا تحررهم من اسر الاجانب على ايّ شيىءٍ وعلى ايّةِ حياة مرفهة، وان لايقبلوا بتحمل عبء عار الارتباط بالقوىٰ الشيطانية على كواهلهم. وان يقبلوا بالموت المشرّف برجولة واختيار في سبيل الاهداف السامية وفي سبيل الله، اذا اريدت لهم الحياة بذلةٍ، وان يختاروا السير على طريق الانبياء العظام واولياء الله عليهم السلام وادعو الله خاضعاً معرباً عن عجزي، ان يُزيد من وعي وحبٍّ والتئام صفوف الرجال والنساء والاطفال والشيوخ من ابناء شعبنا العزيز، وان يفيض عليهم برحمته فيقفوا بثباتٍ في طريق الله، وان ينشروا الاسلام العزيز واحكامه النورانية في مختلف انحاء العالم.

بنيّ:

لايفوتني ان اكتب اليك بضع جملاتٍ حول الامور الشخصية لاختتم بها حديثي المطنب هذا: اشدُّ ما اود ان اوصيك به ولدي العزيز، هو الاهتمام بوالدتك الوفيّة.

إن الحقوق الكثيرة للأمهات، اكثر من ان تُحصىٰ أو ان يُؤدىٰ حقها من الشكر، فليلة واحدة تسهرها الأم مع وليدها تفوق سنوات من عمر الأب المتدين، فتجسد

العطف والرحمة في عيونها النورانية، بارقةٌ من رحمة وعطف رب العالمين، فالله تبارك وتعالى قد اشبع قلوب وارواح الامهات بنور رحمة ربوبيته بشكل يعجز عن وصفه الواصفون، ويعجز عن إدراكه سوى الامهات وان رحمة الباري هي التي تجعلهن يقفن ويتحملن بثباتٍ عجيب إزاء المتاعب والآلام منذ استقرار النطف في الأرحام وطوال فترة الحمل وحتى ساعة الولادة، ثم منذ عهد الطفولة وحتى آخر العمر، وهي المتاعب والالام التي يعجز الآباء عن تحملها ليلة واحدة.

فالتعبير الرقيق الوارد في الحديث الشريف «**الجنة تحت اقدام الأمهات**»[٢٤] حقيقةٌ تشير الى عظم دور الام، وتنبه الابناء الى ان السعادة والجنة تحت اقدام الامهات، فعليهم ان يبحثوا عن التراب المبارك لاقدامهن، ويعلموا ان حرمتهن تقارب حرمة الحق تعالى، وان رضا الباري جلت عظمته انما هو في رضاهن.

إن الامهات رغم انهن جميعاً مثالٌ لذلك، الا ان بعضهن يتمتعن بخصائص اخرىٰ تميزهن عن الأخريات؛ وقد ادركت على مدىٰ عمري، ومن الذكريات التي احملها عن والدتك المحترمة وعن الليالي التي كانت تقضيها مع اطفالها ـ بل وحتى الأيام ـ انها تحمل مثل هذه المزايا، لذا فاني اوصيكم ـ ياولدي، انت وبقية ابنائي ـ ان تجهدوا ـ بعد وفاتي ـ في خدمتها وتحرصوا على راحتها ونيل رضاها، كما اراها راضية عنكم في حياتي. بل ان تبذلوا مساعيكم اكثر في خدمتها بعد وفاتي.

واوصيك ياولدي احمد: ان تحرص على معاملة ارحامك واقربائك وخصوصاً اخواتك وابناء اخوانك واخواتك بالعطف والمحبة والصفاء والسلام والايثار وبمراعاة السلوك الحسن. كما اوصي جميع ابنائي ان يكونوا قلباً واحداً ويتحركوا

٢٤ـ كنز العمال: ح ٤٥٤٣٩

نحو هدفٍ واحدٍ وان يتعاملوا مع بعضهم بالمحبة والعطف وان يسعوا جميعاً للعمل في سبيل الله وفي خدمة عباده المحرومين، لان في ذلك خير وعافية الدنيا والآخرة.

واوصي نورعيني (حسين) ان لايغفل عن الانكباب على تحصيل العلوم الشرعية.

وان لايبدد ما انعم الله عليه من الاستعداد واللياقة سُدىً، وان يعامل والدتهواخته بمنتهىٰ العطف والصفاء وان يستصغر الدنيا ويسلك في شبابه طريق العبودية المستقيم.

وآخر وصيتي الى احمد: ان يُحسن تربية ابنائه وان يعرفهم -منذ نعومة اظفارهم- على الاسلام العزيز وان يرعىٰ امهم العطوفة ويحرص على خدمة جميع افراد العائلة والاقارب.

وسلام الله على جميع الصالحين.

واستميح جميع اقاربي عذراً وبالاخص ابنائي وارجوهم ان يعفوا عني ان كنت قصّرت معهم اوظهر مني قصورما، او ان كنت ظلمتهم، وان يدعوا الله ان يغفرلي ويرحمني انه ارحم الراحمين.

وادعو الله متضرعاً اليه ان يوفق ارحامي واقربائي الى طريق السعادة والاستقامة وان يشملهم برحمته الواسعة، وان يُعزَّ الاسلام والمسلمين ويقطع ايدي المستكبرين والقوىٰ الظالمة ويكفها عن الظلم.

والسلام والصلاة على رسول الله، خاتم النبيين وعلى آله المعصومين، ولعنة الله على اعدائهم اجمعين الى يوم الدين.

٤ رجب ١٤٠٢ هـ. ق

روح الله الموسوي الخميني

طريق العشق

بسم الله الرحمن الرحيم

«فــاطمةٌ قـد طـلبتْ مـني رسـالة العـرفانْ
كأنمــا مـن نمـلةٍ قـد طـلبتْ عـرش سـليمانْ
لعلها ما سمعت من قال «مـا عـرفناك» ولا...
وهو الذي يسأله جبريل من الطافه»[1]

وبعد الاصرار حملتني اخيراً ان أكتب وبشكلٍ ببغاوي عدة اسطرٍ عما انا غريب عنه وعما ليس لقلبي معرفةٌ به.

اكتب ما اكتب في وقت أفرغ فيه ضعف الشيخوخة ما كان في جعبتي -رغم قلته- وألقاه في دائرة النسيان، فضلاً عما يحيطني من الابتلاءات مما لا يسعه الحـديث او الكتابة، ولكن حتى يطلع القرّاء على طبيعة الظروف التي بدأت الكتابة فيها يكفي ملاحظة تاريخ كتابة هذه الرسالة، إذ اني بدأت بها يوم السبت ٢٤/شعبان المعظم/ ١٤٠٤ هـ.ق الموافق (٢٦/٥/١٩٨٤ م) ولا يخفىٰ على القارئ ما هي الاوضاع التي

١- ترجمة لمضمون بيتين من الشعر

كانت تمرُّ بها ايران ويمرُّ بها العالم في هذا التاريخ.

من اين ابدأ؟ أفضِّل ان تكون البداية من موضوع الفطرة «**فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله**»[٢] وسوف اكتفي بالحديث عن الفطرة الانسانية رغم ان الفطرة يشترك فيها الخلقُ جميعاً «**وإن من شيءٍ إلاّ يسبّح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم**»[٣] فالخلق بأسره يترنّم بالقول:

قــدحباناالله بــالسمع وبــاللب وبــالابصارْ
غير أنا معكم صمٌ وعميٌ وموات ايُّها الاغيارْ[٤]

فلنقِ الآن نظرة على العرفان الفطري للانسان.

لا يمكن للانسان ـ بمقتضىٰ الفطرة والخلقة ـ ان يتوجّه الى غير الكمال المطلق و يُعلق قلبه به، فكل الارواح والقلوب تهفو اليه ولا ولن تبحث عن غيره، وجميعها تلهج بالثناء عليه ولا يمكنها أن لا تفعل ذلك، فالثناء علىٰ ايّ شيء ثناءٌ عليه، رغم ان اللاهج بالمدح والثناء يتوهم ـ مادام محجوباً ـ انه يثني علىٰ ويمدح غيره تعالىٰ ولاشك ان الأمر كذلك عند تحليله عقلياً فالعقل حجاب بحدّ ذاته، الا ان حـقيقته ليست كذلك، فمن يطلب الكمال في كل مجال، انما يدفعه العشق للـكمال المـطلق لا الكمال الناقص، لأن الأخير محدود بالعدم، والفطرة بطبيعتها تنفر من العدم. فطالب العلم انما يطلب العلم المطلق وهو عاشقُ العلم المطلق، وكذا الساعي لامتلاك القدرة

٢- الروم: ٣٠ ٣- الاسراء: ٤٤

٤- ترجمة مضون بيت من الشعر.

وكذا طالب كلِّ كمال. فالانسان عاشقٌ للكمال المطلق، وما يبحث عنه في الكمالات الناقصة هو كمالها لانقصها، لأن الفطرة متنفّرة من النقص و ما يـوقع الانسـان في الخلط إنما هي الحجب الظلمانية والنورانية، فالشعراء والمداحـون يـتوهمون انهـم يمدحون الأمير المقتدر الفلاني او الفقيه العالم الفلاني، إلا انهم يمدحون القدرة والعلم لا بشكلهما المحدود حتىٰ إن توهموا محدوديتهما وهـذه فـطرةٌ لايمكـن تـبديلها أو تغييرها «**لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيّم**»(٥). والانسان مادام في حجاب الذات مشغولاً بنفسه، وما دام غير مخترقٍ للحجب حتىٰ النورية منها فإنَّ فطرته محـجوبة وللخروج من هذا المنزل فإنّه بحاجةٍ ـ علاوة على المجاهدات المختلفة ـ الى هدايـة الحق تعالىٰ.

تقرأين في المناجاة الشعبانية المباركة: «**إلّهي هب لي كمال الانقطاع اليك وأنِـر أبصار قلوبنا بضياء نظرها اليك حتى تخرق أبصارُ القلوب حجبَ النور فتصل الى معدن العظمة وتصير أرواحنا معلّقة بعزِّ قدسك إلّهي واجعلني ممن ناديته فأجابك ولاحظته فصعق لجلالك فناجيته سراً...**»(٦)

«كمال الانقطاع» المشار اليه هو الخروج من منزل الذات والذاتية ومن كل شيء وكل شخص للارتباط به والانقطاع عن الغير، وهو هبة الّهيه حبا الله بها الأولياء الخُلّص بعد «الصعق» الحاصل من الجلال الذي يقع إثر اللحظ (**ولا حظته**)...الخ.

وما لم تُنوَّر أبصار القلوب بنور نظرته فلن تُخرَقَ «**حجبُ النور**»، ومادام الأمر كذلك فلا سبيل الىٰ بلوغ «**معدن العظمة**» ولن تتعلّق الارواح «**بعزّ القدس**»، ولن ترقىٰ إلى مرتبة التدلّي «**ثم دنا فتدلّىٰ**» بل حتىٰ أدنىٰ من ذلك فهي لن تنال «الفناء

٥- الروم: ٣٠

٦- فقرات من المناجاة الشعبانية: مفاتيح الجنان ص ١٥٩

المطلق» و«الوصول المطلق».

ايُّها الصـوفيُّ إنّ العشـق يـفضي للـصفاءْ

فـــليكن عـــهدك رهــناً بــالوفاءْ

واذا لم تــبلغ المــعشوق وصــلاً بـلقاءْ

فاجعل الروح على أعتابه تهوىٰ الفناءْ[7]

«فنجوىٰ السرّ» لا تتحقق بين الحق تعالى وعبده الخاص الابعد الصعق واندكاك جبل وجوده، رزقنا الله وإياكِ تلك المنزلة.

بنيّة:

إنّ الانشغال بالعلوم ـ حتى العرفانية والتوحيدية منها ـ اذا كـان لمجـرد جمـع الاصطلاحات ـ وهو الحاصل فعلاً ـ ولأجل الحصول على هذه العلوم بذاتها، فإن ذلك لا يقرب السالك من مقصده، بل يبعده عنه «العلم هو الحجاب الأكبر».

اما اذا كان الدافع للانشغال بتلك العلوم هو عشق الحقِ والبـحث عـنه تـعالى ـالأمر النادر للغاية ـ فسوف يكون العلم حينها مصباح الطريق ونور الهداية **«العلم نور يقذفه الله في قلب من يشاء من عباده»**[8] وللوصول الى يسيرٍ من ذلك لابُدّ من التهذيب والتطهير والتزكية: تهذيب النفس وتطهير القلب من سواه تعالى، فضلاً عما يلزم للتخلّص من الأخلاق الذميمة، مما يحتاج إلى الكثير من المجاهدة وفضلاً عما هو مطلوبٌ من تنقية الافعال مما يشوبها من الامور التي تخـالف رضـاه تـعالى،

٧- ترجمة لمضمون بيتين.

٨- المحجة البيضاء: ٤٥/٥، بحارالانوار: ٢٢٥/١

بالاضافة الى ما يلزم من المواظبة على الاعمال الصالحة وعلى رأسها الواجبات، ثم المستحبات بالقدر الميسور مما لا يوقع الانسان في العُجب والغرور.

بنيّة:

إنَّ العُجب والغرور انما ينتجان عن شدة الجهل بتفاهة النفس وعظمة الخالق، فلو فكّر المرءُ قليلاً في عظمة الخلق وبالمقدار الذي توصّل البشر الى معرفة اليسير من اسراره ـ رغم كل هذا التقدم العلمي ـ فإنه سيدرك ضآلة نفسه وضآلة كلٍّ المنظومات الشمسية والمجرات، وسيفهم قليلاً من عظمة خالقها فيخجل من عُجبه وأنانيته وغروره وسوف يستشعر مقدار جهالته.

تأملي في قول النملة التي ورد ذكرها في قصة نبيِّ الله سليمان عليه السلام عند ما مَرَّ بوادي النمل: «**قالت نملة: يا أيّها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنّكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون**»[9].

نملةٌ تصف سليمان النبيَّ عليه السلام ومن يرافقه أنهم «**لا يشعرون**»، ثم تأمّلي في قول الهدهد: «**أحطت بما لم تحط به ...**» وعميُ القلوب لا يستطيعون تحمّل معنىٰ نطق النملة والطير، فما بالكِ بنطقِ ذرّات الوجود وما في السموات والأرض مما وصفها خالقها «**...إلاّ يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم**»[10].

ان الانسان يرىٰ نفسه محور الخليقة ـ وان كان الانسان الكامل كذلك ـ الا ان من غير المعلوم ان الأمر كذلك في نظر سائر الموجودات، فالبشر الذين لم يتحقّق لهم التكامل ليسوا كذلك حتماً «**مثلُ الذين حُمّلوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل**

٩- النمل: ١٨

١٠- الاسراء: ٤٤

الحمار...»[11] هذا مرتبط بالتكامل العلمي دون التهذيب الذي وصفه تعالى بقوله «... كالأنعام بل هم أضلّ...»[12].

بنيّة:

لقد بُعِثَ الانبياء ليوفّروا للبشر مقومات التكامل المعنوي ويخلّصوهم من الحجب، إلا ان الشيطان ـ ويا للأسف ـ أقسم أن يحول ـ وبواسطة أذنابه ـ دون تحقيق أهدافهم «فبعزّتك لأغوينّهم أجمعين ...»[13].

نحن جميعاً نيام تثقلنا الحجب «الناس نيام واذا ماتوا انتبهوا»[14] وجهنم تكاد تحيط بنا، يمنعنا من معاينتها والاحساس بلهيبها خدر الطبيعة الذي أصابنا «وإنّ جهنم لمحيطة بالكافرين ...»[15] والكفر على مراتب كثيرة للغاية، فالأنانية والذاتية والتوجّه إلى غيره تعالى كلّها من مراتبه.

اذا تدبرنا في أول سورة من القرآن الكريم وتأملناها بعينٍ غير هذه العين الحيوانية المبصرة وادركنا ما فيها دون أن تحول بيننا وبين ذلك الحجب الظلمانية والنورانية لتدفّقت على قلوبنا ينابيع المعارف ثرّةً غزيرة، ولكن هيهات ونحن نجهل حتى بدايتها «ومن اطّلع وأدرك لم يصلنا خبره أيضاً»[16].

أوصيكِ يا ابنتي ـ وأنا الجاهل غير العامل ـ تدبّري القرآن الكريم، منبع الفيض الالهي هذا، فالتدبر فيه ـ رغم ان مجرد قراءته باعتباره رسالة المحبوب الى السّامع المحجوب له آثاره الطيبة ـ يهدي الانسان ويرفعه إلى المقامات الأعلى والأسمى

١١- الجمعة: ٥

١٢- الاعراف: ١٧٩

١٣- ص: ٨٢

١٤- عوالي اللئالي: ٤/٧٣، بحارالانوار: ٤/٤٣

١٥- التوبة: ٤٩، العنكبوت: ٥٤

١٦- مضمون عجز بيت من الشعر

«أفلا يتدبّرون القرآن أم على قلوبٍ أقفالها»[١٧]. وكما هو جليٌّ فالم تُفتح هذه الاقفال وتتحطّم مختلف الاغلال فلن يحصل للانسان ـ حتىٰ من التدبر ـ علىٰ ما ينبغي. يقول تعالى بعد قسمٍ عظيم «إنّه لقرآن كريم في كتابٍ مكنون لايمسّه إلاّ المطهرون»[١٨] وفي الطليعة من أولئك هم من نزلت فيهم آية التطهير.

ورغم ذلك، إلا أنّه لا ينبغي لك ان تيأسي، لأن اليأس بحدِّ ذاته من الاقفال الكبرىٰ، فاجتهدي ما وسعكِ الجهد في رفع الحجب وكسر الاقفال لبلوغ نبع الماء الزلال وينبوع النور، جدّي في العمل وفي تهذيب القلب وتكسير الاقفال وخرق الحجب ما دمتِ متنعمة بنعمة الشباب، فقد يُوَفَّق ألف شابٍ للاقتراب من أفق الملكوت ولا يُوفَّق شيخ واحد لذلك. واذا غفل الإنسان في مرحلة الشباب عن القيود والاغلال والاقفال الشيطانية، فإنها تصبح اقوىٰ واشدُّ استحكاماً مع كل يوم يمضي من العمر.

« لاتمهلن الشرَّ إنَّ الشرَّ نارٌ محرقة
وما ترىٰ أنَّ يديك اليوم قد تقلعها
شجيرة تغدو غداً إنْ تُركت وارفةً معمرة»[١٩]

وانها لأحدىٰ المكائد الكبرىٰ للشيطان والنفس ـ التي تعدُّ اشدُّ خطراً مما ذكرنا ـ في انهما يمنّيان الانسان بتأخير الاصلاح الى آخر العمر والىٰ زمن الشيخوخة فيعرقلان التهذيب والتوبة إلى الله ويؤخرانهما إلى الوقت الذي تشتدّ فيه شجرة الفساد والزقوم، وتضعف فيه الارادة والقدرة على التهذيب أو أنها تكون قد ماتت تماماً.

١٧- محمد: ٢٤ ١٨- الواقعة: ٧٩

١٩- مضمون بيتين من الشعر

فلنسع الى عدم هجر القرآن والابتعاد عنه، ففي هذا الحديث (القرآن) بين الحبيب والمحبوب والمناجاة بين العاشق والمعشوق من الاسرار مما لا سبيل للاطلاع عليها سوىٰ له هو تعالى ولحبيبه صلى الله عليه وآله ومما لا إمكان للحصول عليها. ولعل في الحروف المقطّعة في بعض السور مثل «ألم» و«ص» و«يس» اشارة الى تلك الاسرار، ولعلَّ في الكثير من الآيات الكريمة التي يلجأ اهل الظاهر واهل الفلسفة والعرفان والتصوف الى تفسيرها او تأويلها بطريقتهم الخاصة اشارة الى ذلك ايضاً، فلكل طائفةٍ منهم منهج او تصور يتناسب مع مقدار تحملهم مضافاً الى ما يصلهم من نفحات هذه الاسرار ـ ولكلٍّ بما يناسب قابليته ـ عن طريق أهل بيت الوحي الذين فاضت عليهم الاسرار من منبع الوحي الفيّاض، ولعل اكثر الادعية والمناجات المأثورة عنهم عليهم السلام تساهم في تحقيق هذا الغرض، فما نجده في أدعيتهم عليهم السلام يندر وجوده في الروايات المأثورة عنهم والتي غالباً تخاطب العموم وتتحدث بلسان العرف.

غير أن الأمر مختلف تماماً مع القرآن الكريم، فلغةُ القرآن لغةٌ يرىٰ كل عالمٍ ومفسّرٍ أنّه يعرفها ولايعرفها في الوقت نفسه، فالقرآن الكريم كتابٌ إعجازي المعارف مما يكون مجرد تصورها اشدُّ تعقيداً وصعوبة من تصديقها.

فما اكثر الامور التي يمكن اثباتها بالدليل الفلسفي والرؤية العرفانية في حين يعجزُ عن تصورها، ولا اظنُّ ان تصوّر «ارتباط الحادث بالقديم» الذي عَبَّرَ عنه تعالى في القرآن الكريم بتعبيراتٍ مختلفة او «كيفية معيّة الحق مع الخلق» التي يقول عنها البعض انها «المعية القيومية» ـ الأمر الذي يعدُّ تصوره من المعضلات حتى لأولئك القائلين به ـ أو «ظهور الحق في الخلق» و«حضور الخليقة لدىٰ الحق» و«اقربيته»

جلَّ وعلا الى الانسان من حبل الوريد، أو مفاد قوله تعالى «**الله نور السموات والارض**» أو «**هو الأول والآخر والظاهر والباطن**» أو «**ما يكون من نجوىٰ ثلاثة**» أو «**إياك نعبد وإياك نستعين**» وأمثالها مما لايمكن تحقّقه سوىٰ للمخاطب أساساً بهذه الأقوال، ثم لقرباه ممن هم أهل لأمثال هذه الأمور بتعليمه إياهم. ولبلوغ نفحةٍ من ذلك لابد من المجاهدة المشفوعة بالتهذيب.

مدرستي لم تغنِ بعد الجهد أو طول اجتهادي
وازدحام القيل والقال سوىٰ غم الفؤادِ[٢٠]

فلا أثر للشباب (ربيع التحصيل) اليوم، ولست ارىٰ من الماضي سوىٰ حفنةٍ من الالفاظ. لذا اوصيكِ وسائر الشبان الساعين في تحصيل المعرفة، بالسعي والمجاهدة للوصول الى بارقةٍ منه تعالى ثم الذوبان فيها، فانتم وجميع الموجودات مظاهر وتجليات له تعالى.

عدمٌ يقفو وبعد العمر عودٌ للعدم
فوجودي صار لحناً وترياً يتبدد...
صادحاً في دوحة الوجدان شدواً يتردد
نحن لله ونحو الله نسري راجعون[٢١]

بنيّة:

اعلمي ان الدنيا بما فيها جهنم، تظهرُ حقيقتها في آخر المطاف، كما ان ماوراء

٢٠- مضمون بيت من الشعر

٢١- مضمون بيت من الشعر

الدنيا الى آخر مراتبه هو الجنة التي تظهر في النهاية بعد الخروج من خدر الطبيعة.

وانا وانتِ والجميع نسير إما للسقوط في قعر جهنم أو لبلوغ الجنة والملأ الاعلىٰ.

«روي ان الرسول صلى الله عليه وآله كان جالساً الى اصحابه يوماً فسمعوا صوتاً مهيباً، فسألوا: ما هذا الصوت؟ فقال صلى الله عليه وآله: حجرٌ القي من أعلىٰ جهنم منذ سبعين سنة، الآن وصل الى قعرها وقال أولوا الالباب: في وقتها سمعنا أن رجلاً كافراً عمّر سبعين سنة، مات حينها فسقط في جهنم»[٢٢]

نحن جميعاً في الصراط الذي يمرُّ فوق جهنم التي تتجلّىٰ لنا في ذلك العالم، فلكلٍّ انسان صراط خاص به هنا في الدنيا، وهو في حالة سير أما في الصراط المستقيم الذي ينتهي به الى الجنة وما فوقها، أو على الصراط المنحرف يميناً او شمالاً مما ينتهي إلى جهنم. نسأل الله تعالىٰ ان يجعل مسيرنا على الصراط المستقيم **اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم** (الانحراف الى جهة) **ولا الضالين** (انحراف الى الجهة الاخرىٰ). وهذه الحقائق تكون مشهودة في الحشر عياناً.

صراط جهنم الذي وصفت الروايات دقّته وحدّته وظلمته هو باطن الصراط المستقيم في هذا العالم، فكم هو دقيقٌ ومظلم، وكم صعب علينا اجتيازه نحن العاجزين؟، أما اولئك الذين اجتازوه دون ايّ انحراف يقولون: «جزنا وهي خامدة»[٢٣]، وبين هذا وذلك وعلى مقدار ونوع سير الانسان في الصراط في هذا العالم يعتمد نوع ومدىٰ الاطمئنان في اجتياز الصراط هناك.

ضعي الغرور والآمال الشيطانية الكاذبة جانباً، وجدّي في العمل وفي تهذيب

٢٢- علم اليقين: ١٠٠٢/٢

٢٣- علم اليقين: ٩٧١/٢ رواية في تفسير قوله تعالى «ان منكم الا واردها»...الآية ٧١ من سورة مريم

النفس وتربيتها فإن الرحيل وشيك، وكلٌّ يوم يمرُّ وانت غافلة يؤخرك حتماً، وأياك ان تردّي عليّ بالقول: ولماذا لست مستعداً انت «**انظر الى ما قيل لا الى من قال**»[٢٤]. فمهما كان حالي فانا الرهين بذلك وكذا الجميع، وجهنم كل انسانٍ وجنته هي نتيجة اعماله، ونحن جميعاً نحصدُ مازرعنا.

إنَّ الانسان مفطور ومجبولٌ على الاستقامة والصلاح. وحبُ الخير فطرةٌ انسانية نحن نجرها نحو الانحراف ونحن الذين نزيد الحجب امامنا ونلف انفسنا بهذه الشباك.

كالعير في البيداء يقتلها الظما   والماء فوق ظهورها محمول[٢٥]

سألتِني البارحة عن اسماء الكتب العرفانية...

بنيّة، ليكن سعيك في رفع الحجب لا بجمع الكتب، وأسألك، اذا اقتنيت الكتب العرفانية والفلسفية ورحت تحملينها من مكان الى آخر، أو صرت ارشيفاً للالفاظ والاصطلاحات وخدعت جلساءكِ في المحافل بعرض ما في جعبتك من المعلومات، وأثقلت ظهركِ مخدوعة بخداع الشيطان والنفس الأمّارة ـ الاشدُّ خبثاً من الشيطان ـ وأصبحت نتيجة مكر ابليس زينة المجالس، وتسرّب ـ لاسمح الله ـ اليك غرور العلم والعرفان ـ ولا ريب أن ذلك سيحصل ـ فهل انكِ ستقلّلين بهذه الأوزار الكثيرة من الحجب التي تعترضك أم ستزيدينها؟ فلقد انزل الله تعالى الآية الشريفة «**مثل الذين حُمّلو التوراة...**» لتنبيه العلماء الى ان اختزان العلوم ـ حتىٰ اذا كان من علوم الشرائع والتوحيد ـ لا يخفّف الحجب بل يزيدها ويضرب دونهم حجباً سميكةً

٢٤- غرر الحكم: فصل ٣٠/حديث ١١

٢٥- مضمون بيت مطابق معنىٰ ما اوردنا من شعر

بدل الحجب اللطيفة.

لا اقول ابتعدي عن العلم والعرفان والفلسفة واقضي عمرك بالجهل فإن هذا انحراف .. ولكن أقول: لتسعي ولتجهدي ان يكون دافعكِ الى ذلك آلهياً ومن المحبوب، وإذا عرضت شيئاً من العلم فليكن لله ولتربية عباده لا للرياء والتظاهر فتصبحي ـ لا سمح الله ـ من علماء السوء الذين يؤذون أهل النار بريحهم النتنة.

إن اولئك الذين وجدوه وعشقوه ليس لهم دافع سواه، لذا اصبحتْ اعمالهم كلها من حرب، أو صلحٍ أو ضربٍ بالسيف أوكرٍّ أوماشئتِ أنْ تتصوري آلهية بحتةً «ضربة عليّ يوم الخندق افضل من عبادة الثقلين»[٢٦]، فضربته لولا استنادها الى الدافع الالهي لما عادلت قطميراً، حتى وإن تسبّبت في فتحٍ عظيم. ولا يُظنَّ أنّ مقام أولياء الله وخصوصاً وليّ الله الأعظم (عليه وعلى أولاده الصلوات والسلام) يتحدّد بهذا المقام، ابداً، غير أن القلم عاجز عن المتابعة والتوضيح، قاصرٌ عن الاسهاب في شرح ذلك بأيدي المحجوبين. فما نستطيع نحن المحجوبون أن نقول، بل ماذا نعلم لنقول؟ وما يراد الحديث عنه ليس مما يسع إحاطتهُ بالحديث، فهو فوق أفق وجودنا حتىٰ. ولكن لابأس بالتعرض للقليل فذكرُ الحبيب يؤثر في القلب والروح حتى اذا لم يؤدِّ ذكره الى فهم شيءٍ من حقيقته، تماماً كتملّي العاشق الأميّ في رسالة محبوبه مستأنساً بها لمجرد كونها رسالة المحبوب، وكالاعجمي المسكين الذي لايحسن العربية ويقرأ القرآن الكريم فتعتريه حالةٌ تفوق حالة الأديب الضليع الذي يشغل نفسه بإعراب القرآن وما فيه من الأدب الرفيع والبلاغة والفصاحة بآلاف المرات رقياً وقرباً لما يستشعر من الأنس لقراءته هذا القرآن النازل منه تعالىٰ، بل

٢٦- بحارالانوار: ٢/٣٩

وأرقىٰ حتى من حالة الفيلسوف والعارف الذي يتفكّر بما في القرآن من مسائل عقلية ونكتٍ ملفتةٍ غافلاً عن المحبوب، فيكون كما لو أنّه كان يطالع الكتب الفلسفية والعرفانية مستغرقاً مع ما في الكتاب غير مكترثٍ بقائل كلماته.

بنيّة:

اعلمي أن «الفلسفة» تبحث في «مطلق الوجود» بدءً بالحق تعالى وانتهاءً بأدنىٰ مراتب الوجود، و«علم العرفان» و«العرفان العلمي» يبحث عن «الوجود المطلق» أو بالتحديد عن «الحق تعالى» فلا بحث له سوىٰ عن الحق تعالىٰ وتجلياته التي هي عين ذاته.

واذا بحث كتابٌ أو عارف في موضوعٍ غير الحق تعالى فلا الكتاب كتاب عرفان ولا القائل عارفٌ. في حين إذا تأمّل فيلسوفٌ بالوجود على حقيقته وبحث في ذلك فبحثه الّهيٌّ وعرفاني، وكلٌّ ذلك يختلف عن «الذوق العرفاني» الأمر المهجور والمتروك البحث فيه، «والشهود الوجداني» وما يليه من التلاشي في ذات «الغرق في الوجود» «ادفع السراج فقد طلعت الشمس»[٢٧].

بنيّة:

سمعت انكِ كنتِ تردّدين: أخشىٰ أن اندم ايام الامتحان اذا لم اعمل في ايام العطلة. ان هذا الندم وامثاله ـ مهما كان ـ فهو سهل سريع التلاشي، أما الندم الدائم الأبدي فهو عندما تنتبهي الى انكِ تبصرين كل شيء إلاّ هو تعالى، وعندما تصبح الستائر والحجب مما يستحيل ازالته. يقول امير المؤمنين عليه السلام في دعاء كميل: «فهبني يا آلهي وسيدي ومولاي وربي صبرت على عذابك فكيف أصبر على

٢٧- مجالس المؤمنين (فارسي): ٢/١١

فراقك...»[٢٨]

لم استطع أنا ـ أعمىٰ القلب ـ أن أقرأ هذه الفقرة وبعض الفقرات الاخرىٰ في هذا الدعاء الشريف بصدقٍ حتىٰ الآن، فأنا أقرأها بلسان علي عليه السلام ومازالت أجهل ذلك الشعور الذي يفوق عذاب الصبر عليه عذاب الصبر على عذاب الله في جهنم، التي تطّلع نارها على الأفئدة، فهو عليه السلام يشير بقوله «عذابك» إلى «نارالله» التي تحرق الفؤاد، ولعل هذا العذاب الذي يتحدث عنه عليه السلام اشدُّ من عذاب جهنم هذا، ونحن ـ عمي القلوب ـ نعجز عن ادراك وتصديق هذه المعاني التي تفوق إدراك البشر، فلنعرض عنها، ولنترك ذلك لأهله ممن هم في غاية الندرة والقلّة.

على أيّة حال ان لكلٍّ من الكتب الفلسفية ـ خصوصاً كتب فلاسفة الاسلام ـ وكتب أهل الحال والعرفان أثراً مختلفاً:

فالأولىٰ: تعرّف الانسان ـ ولو بشكل اجمالي ـ بعالم ماوراء الطبيعة

والثانية: ـ وخصوصاً البعض منها «كمنازل السائرين» و«مصباح الشريعة» الذي يبدو أنّ عارفاً كتبه نقلاً عن الامام الصادق عليه السلام بطريقة الرواية ـ تهيّئ القلوب للوصول الى المحبوب، واكثر ما في هذه المجموعة إثارة للقلوب: المناجاة والادعية المأثورة عن أئمة الهدىٰ التي تمتاز ـ فضلاً عن أثرها في الارشاد اليه تعالى ـ في انها تقود اليه، فتأخذ بيد الباحث عن الحقّ لتحلّق به صاعدةً نحوه تعالى، ويا للأسف ألف مرة اننا بعيدون تفصلنا عنها فراسخ عديدة.

بنيّة:

حاذري ان تنكري مقامات العارفين والصالحين، اذا لم تكوني اهلاً للحكم او لم

٢٨- فقرات من دعاء كميل المشهور، مفاتيح الجنان: ص ٦٢

تبلغي مقام ذلك وإياك ان تعتبري مخالفتهم من الواجبات الدينية، فإن كثيراً مما يقولونه مشارٌاليه بشكل خفي أو اجمالي في القرآن الكريم، وبشكلٍ اكثر وضوحاً في أدعية اهل العصمة ومناجاتهم، ونحن الجاهلون إنما نتبرى لمخالفة ما يقولون لاننا محرومون من فهم هذه الاسرار.

يُقال ان صدرالمتألهين رأىٰ احدهم يجلس في حرم المعصومة (سلام‌الله عليها) مشغولاً بِلعنه، فسأله لماذا تلعن صدرا؟

قال: لانه يقول بوحدة واجب الوجود

قال: العنه إذن.

ان هذه الحكاية حتى ان لم تكن واقعية فهي تشير الى حقيقة معيّنة، حقيقة مؤلمة رأيت أو سمعت أنا شخصياً العديد من الشواهد عليها في زماننا هذا، ولست اريد من قولي هذا الدفاع عن بعض ذوي الادعاءات الجوفاء «فما أكثر ما تكون الخرقة مستوجبة للنار» اني انما اهدف تجنيبك إنكار اصل موضوع المعنىٰ والمعنوية، فذات هذه المعنوية ايضاً ورد ذكرها في الكتاب والسنّة، فتجاهلها المخالفون أو راحوا يفسرونها بتفاسير سطحية ساذجة.

ولتعلمي ان اول خطوةٍ نحوالمعرفة هي بالخروج من حجاب الانكار السميك الذي يمنع من أي رشدٍ او تقدم ايجابي، علماً بأن هذه الخطوة الأولىٰ ليست كمالاً، إلا انها تفتح الطريق نحو الكمال، تماماً كما أن «اليقظة» التي تعتبر المنزل الأول في منازل السالكين لايمكن اعتبارها من المنازل ذاتها، انما مقدمة وفاتحة للطريق نحو منازل السالكين، وعلى اية حال فلا يمكن بروح الإنكار سلوك طريق المعرفة.

إن اولئك الذين ينكرون مقامات العارفين ومنازل السالكين، انما ينكرونها

لانهم انانيون مغرورون، فهم لا يحملون ما لا يعرفون على جهلهم، لذا يـنكرونه حتى لا تمسَّ انانيتهم وعجبهم بأنفسهم «أم الاصنام، صنم النفس»[29] وما لم يـتم تحطيم هذا الصنم والقضاء على هذا المارد فلا سبيل للوصول اليه جلّ وعلا.. وما أصعب تحطيم هذا الصنم وما أصعب كبح جماح هذا المارد!

روي عن احد المعصومينعليهم السلام قوله: «شيطاني أسلم على يديّ»[30] ومنه يتضح أنّ لكل شخصٍ مهما كان عظيم المرتبة شيطان، الا ان اولياءالله وُفِّقوا لترويضه بل لحمله على الاسلام.

أتعلمين ماذا فعل الشيطان بأبينا آدم صفيّ الله؟ لقد أخرجه من جوار الحق بعد أن وسوس له للاقتراب من الشجرة ـ التي قد تكون كناية عن النـفس أو بـعض مظاهرها ـ فصدر الأمر أن «اهبطوا» ذلك الهبوط الذي يمثل السبب في جميع أنواع الفساد والعداوات.

إلا ان آدمعليه السلام تاب بعد أن اخذالله تعالى بيده، ثم جعله «صفيّهُ»، وعلينا انـا وانت المبتليَيْن بالشجرة الإبليسية أن نتوب أيضاً وأن نستغيث ونطلب من الله تعالى في السرِّ والعلن أن يأخذ بأيدينا بأية وسيلة شاء ويوصلنا الى مقام التوبة، لعلنا ننال بعد ذلك حظّاً من الاصطفاء الآدمي. ولا يمكن لهذا ان يكون الا بالمجاهدة وتـرك شجرة ابليس بكل اغصانها واوراقها وجذورها المنتشرة في وجودنا والتي تزداد كل يومٍ رسوخاً وتفرعاً. ولا شك ان التعلق بالشجرة الخبيثة واغصانها وجذورها يمنع من بلوغ الهدف وقد هدّد ابليس بهذا وقد نجح فيه نجاحاً كبيراً، إذ لم يـتمكن احدٌ من الخلاص من كيده وكيد النفس الخبيثة التي تمثل احد مظاهره سوىٰ عـدة

٢٩- صدر بيت من الشعر

٣٠- علم اليقين: ج ١/ ٢٨٢

معدودة من عباد الله الصالحين والاولياء المقربين عليهم السلام ومن تمكّن ـ عداهم ـ من الخلاص من اغصان تلك الشجرة وجذورها المتشابكة المعقدة لم يتمكن إلاّ بأخذ الله تعالى بيده كما فعل مع صفيّه (آدم) فحرره منها. ولكن أين نحن من ذلك الاستعداد لقبول الكلمات؟

وما احرىٰ ان نطيل التأمل في الآية الكريمة التي تشير الى هذا المعنىٰ، يقول سبحانه وتعالى «**فتلقىٰ آدم من ربه كلماتٍ فتاب عليه**»[٣١] ولم يقل سبحانه «**وألقىٰ إليه كلمات**» كأنّ المراد أن تلقّي الكلمات كان بعد السير إليه تعالى، رغم أنّها لو كانت «وألقي إليه...» ايضاً لما كانت ممكنة دون السير التكاملي.

كما ينبغي ايضاً التفكر في الآية الاخرىٰ التي أشارت الى هذه القصيه، بقولهِ سبحانه «**فلمّا ذاقا الشجرة...**»[٣٢] إذ يتّضح أنّ اقصىٰ ما كان منهما هو مجرد التذوق وتحسس الطعم، ومع ذلك ترتّبت كل تلك الآثار، لأن ذلك كان من مثل (آدم) أبي البشر.

وفي ضوء ما تقدم يجب ان نتأمل ملياً في وضعنا، فلا شك إننا مشدودون الى جميع أغصان واوراق وجذور تلك الشجرة.

بنيّة:

إن الطريق محفوف بالمخاطر، ولكل عضوٍ ظاهرٍ او جارحة من جوارحنا الباطنة آفاتٌ تمثّل كل آفةٍ منها نوعاً من الحجب التي ان لم نخترقها ونتخطّاها، فما نحن ببالغي أول خطْوة للسلوك نحو الله تعالى.

ولابد أن أشير ـ مع أنّ جسمي وروحي ألعوبة للشيطان ـ إلى بعض آفات

٣١- البقرة: ٣٧ ٣٢- الاعراف: ٢٢

اللسان ـ هذا العضو الاحمر الصغير الذي يمكنه أن يحيل مروج الخضرة غثاءً احوىٰ ـ فاللسان إن أصبح مطيّة الشيطان وآلة بيديه أفسد الروح والفؤاد، لذا اقول: بنيّة! إياك والغفلة عن عدو الانسانية والفضيلة الخطير هذا، وحينما تكونين في جلسات أُنسٍ مع صديقاتكِ، ابذلي وسعك في عَدِّ الخطايا الكبيرة لهذا العضو الصغير وتأمّلي فيما يفعله وما يجرّه من المصائب خلال ساعة واحدة من عمرك كان حريّاً إنفاقها لكسب رضا الحبيب.

ومن هذه المصائب الوقوع في غيبة الاخوان والاخوات... تأملي أيَّ اشخاصٍ تريقين ماء وجوههم وايّة مستورات من أمور المسلمين تكشفين في هذا المجلس وأيّة حيثيّات تمسّين وأيّة شخصيات تكسرين، عندها خذي ذلك المجلس معياراً لما يمكن ان يجتمع عليك خلال سنة تمضينها على هذه الحال، وماذا سيجتمع عليك في الخمسين أو الستين سنة القادمة؟ وأيّة مصائب ومخاطر ستعرضين نفسكِ اليها؟ ومع هذا فإنك تعتبرين ذلك صغيراً، في حين ان هذا الاستصغار من حيل ابليس حفظنا الله جميعاً منه بلطفه.

بنيّة:

نظرةٌ خاطفةٌ الى ما ورد في الغيبة وإلحاق الاذىٰ بالمؤمنين والبحث عن معايبهم وكشف اسرارهم وإلصاق التهم بهم، تجعل القلوب التي لم يستحوذ الشيطان عليها ترتجف خوفاً وهلعاً وتُحيل حياة الانسان مرارة، وها أنذا أوصيكما انتِ وأحمد ـ لما أحمله لكم من الحب ـ باجتناب الآفات الشيطانية وخصوصاً آفات اللسان الكثيرة والحرص على حفظه وادّخاره، ولا شك أنّ ذلك سيكون صعباً نوعاً ما في بداية الامر، لكنه يهون ويسهل بالعزم والارادة والتفكر في عواقبه... اعتبري بهذه

الكلمات التي وردت في القرآن الكريم، حيث يقول تعالى «**ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم ان يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه**»(٣٣) فلعل الآية تخبر عن صورة العمل البرزخية ولعل الحديث المنقول عن سيد الموحدين عليه السلام ضمن مواعظه الكثيرة التي وعظ بها (نوف البكالي) إشارة الى هذا الأمر. فقد طلب نوف من المولى في ذلك الحديث أن يعظه فقال له عليه السلام: «**اجتنب الغيبة فإنها إدام كلاب النار**» ثم قال: «**يا نوف كذب من زعم انه وُلِد من حلال وهو يأكل لحوم الناس بالغيبة**»(٣٤).

كما نُقل عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله «**وهل يُكبُّ الناس في النار يوم القيامة إلا حصائد السنتهم**»(٣٥).

ومن هذا الحديث وغيره من الاحاديث الكثيرة يستفاد ان جهنم هي الصورة الباطنية لاعمالنا. اللهم ارحمنا ونساءنا وعيالنا ونجّنا من الآفات الشيطانية ولا تجعلنا ممن يُلحقون بالمسلمين الأذىٰ بألسنتهم وأعمالهم.

كتبتُ هذه الصفحات استجابة لطلب فاطمة معترفاً بأنّي لم اتمكن من الخلاص من مكائد الشيطان وداعياً أن تُوَفَّق هي لذلك بما لديها من نعمة الشباب.

والسلام على عباد‌الله الصالحين
١٢/ شهر رمضان المبارك / ١٤٠٤ هـ.ق
روح الله الموسوي الخميني

٣٣- الحجرات: ١٢ ٣٤- بحارالانوار: ٢٤٨/٧٥

٣٥- الاصول من الكافي: كتاب الايمان والكفر /باب الصمت وحفظ اللسان /ح ١٤

طريق الصالحين

بسم الله الرحمن الرحيم

رسالةٌ من والدٍ هرمٍ متداعٍ، أفنىٰ عمره في حفنةٍ من الألفاظ والمفاهيم، وضيّع حياته في قمقم أنانيته، وهو الآن يُعدُّ أنفاسه الأخيرة نادماً على ماضيه. إلىٰ ولده الشاب، المتاحة أمامهُ فرصةٌ للتفكير كعباد الله الصالحين بتحرير نفسه من قيود التعلق بالدنيا التي ينصبها ابليس الخبيث فخاً له.

بنيّ:

ما أسرع كرّ الدنيا وفرّها وإقبالها وإدبارها، ثم نُسحقُ جميعاً تحت عجلات الزمن.

بنيّ:

لقد أدركت من تتبّعي ومطالعاتي في احوال مختلف الشرائح البشرية ان الآلام النفسية والروحية التي يعاني منها أفراد الشريحة المتنفّذة الموسرة، وما يُخلّفهُ ضياع الآمال والأماني الكثيرة فيهم أشدُّ أثراً واكثر تقريحاً للفؤاد من الآلام التي تعاني منها سائر الشرائح.

وفي هذا العصر الذي نعيش، والذي يرزح فيه العالم تحت سطوة القوتين الكبريين لا يعدُّ العذاب والألم الذي تعاني منه الطبقات والشرائح المتوسطة، لا، بل حتى الفقيرة منها شيئاً يذكر قياساً بما يعانيه رؤساء تلك الدول الكبرىٰ، وما تتجرعه كلُّ واحدةٍ منهما من الأُخرىٰ من ألوان القلق المضني. فالتنافسُ بينهما ليس تنافساً مُتّزناً معقولاً، بل تنافس مُقضٌّ مهلك يَقصِمُ ظهر كلٍّ منهما، وكأنَّ كلاً منهما يقف في مواجهةِ ذئبٍ مفترس يترصّد به فاغراً فمه ومكشراً عن أنيابه يتحيّن فرصةً لافتراسه.

إن عذاب التنافسِ هذا يقضُّ مضاجع الناس جميعاً بمختلف فئاتهم، بدءاً من المتنفذين الموسرين ونزولاً الى سائر الطبقات، إلا انّهُ يزداد شدَّةً وتأثيراً كلما زاد الثراء والقدرة ـ وبنفس النسبة ـ وليس من سبيلٍ الى نجاة البشريةِ وتحقيق الاطمئنان في القلوب والتحرّر من الدنيا وأنواع التعلّق بها سوىٰ المداومة على ذكر الله تعالىٰ.

إن اولئك الساعين الى تحقيق التفوق بايٍّ ثمنٍ سواءٌ أكان سعيهم ذلك في العلوم ـحتىٰ الالٓهية منها ـ أو في القدرة والشهرة والثروة إنّما يسعون في زيادة آلامهم، في حين أن المتحررّين من القيود المادّية ممن حفظوا أنفسهم ـ نوعاً ما ـ من الوقوع في شَرَك ابليس يحبرون في جنةٍ وسعادة ورحمةٍ حتى في عالمنا الدنيوي هذا.

في عهد رضاخان البهلوي وتحديداً في تلك الايام التي سُلِّطت فيها ضغوط شديدة بهدف تغيير الزي وحيث كان الروحانيون والحوزات العلمية نهباً للاضطراب والقلق نتيجة هذا الأمر ـ لا أعاد الله مثل تلك الايام على الحوزات العلمية ـ صادفت شيخاً من المتحررين الى حدٍّ ما من رقِّ الأغيار يجلس قُرب دكان الخبّاز مشغولاً بأكل قطعة من الخبز الخالي، وعند التحادث قال: امروني بنزع

عمامتي، فنزعتها ووهبتها لشخصٍ يخيط له منها قميصين، وهاأنذا قد أكلت رغيفي وشبعت، وإلى الليل ... الله كريم.

ولدي.. اذا اخبرتك أني أفضّل الفوز بهذه الحالة علىٰ الفوز بجميع مقامات الدنيا فصدّق، ولكن هيهات ان يكون لي ذلك وانا الواقع في شراك ابليس والنفس الخبيثة.

بنيّ:

أما أنا فلا أمل لي «**يشيب ابن آدم وتشبُّ فيه خصلتان: الحرص وطول الأمل**»[1] الأمل ان توفَّق انت الى سلوك طريق الصالحين بما لديك من نعمة الشباب وقوة الإرادة.

ولست أرمي من قولي هذا دفعك عن السعي في خدمة المجتمع والاعتزال لتكون كَلاًّ على خلق الله فإنّ هذه صفات الجاهلين المتنسّكين أوالدراويش اصحاب الطرائق. ولنا في سيرة الانبياء العظام (صلى الله على نبينا وعليهم أجمعين) والأئمة الأطهار عليهم السلام ـ صفوة العارفين بالله والمتعلقين بساحته المتحررين من كلِّ القيود والاغلال ـ من القيام بكلِّ ما اوتوا بوجه الحكومات الطاغوتية وفراعنة الزمان، وما عانوا من الآلام والمتاعب في سبيل تحقيق العدالة في العالم، وما بذلوا من الجهود، عبرةٌ ودروس، فإذا كانت لنا أعينٌ مبصرةٌ وآذان واعية فسيكون شعارنا: «**من أصبح ولم يهتمّ بأمور المسلمين فليس بمسلم**»[2].

بنيّ:

إنّ الميزان في الاعمال هو النوايا التي تستند اليها، فلا الاعتزال الصوفي دليلٌ علىٰ

١- بحارالانوار: ج ٧٣/ ص ٢٢ وفيه [يشبُّ]

٢- الاصول من الكافي: ج ٢/ص ١٦٣ وفيه [..اصبح لايهتم..]

الإرتباط بالحق، ولا ألدخول في خضمّ المجتمع واقامة الحكومة شاهدٌ على الانقطاع عن الحق، فما أكثر ما يكون العابدُ والزاهدُ واقعاً في شِراك ابليس التي تشتد وتتوسع بما يناسب ذلك العابد كالأنانية والغرور والعُجب والتكبر واحتقار خلق الله والشرك الخفي وأمثال ذلك مما يبعدهُ عن الحق ويجرّه نحو الشرك، وما أكثر ما يرتقي المتصدي لشؤون الحكومة فيحظىٰ بلبٍّ قُرب الحق لما يحمله من دافعٍ الٰهيّ كداود وسليمان عليهما السلام بل وأفضل منهما وأسمىٰ منزلةً، كالنبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وخليفته بالحق علي بن ابي طالب عليه السلام وكالمهدي (ارواحنا لمقدمه الفداء) في عصر حكومته العالمية.

فميزان العرفان والحرمان إذن هو الدافع، وكلما كانت الدوافع أقرب الى نور الفطرة وأكثرَ تحرراً من الحجب - حتى النوريّة منها - كانت اكثر التصاقاً بمبدأ النور والى المستوىٰ الذي يصبح فيه الحديث عن الإرتباط كفراً ايضاً.

بنيّ:

لاتتنصّل من مسؤوليتك الانسانية في خدمة الحق في صورة خدمة الخلق، فإن مكر الشيطان وكيده في هذا المضمار ليس اقلَّ من مكره وكيده بين المسؤولين والمتصدين للأمور العامة. ولاتتهالك للحصول على مقامٍ مهما كان ـ سواءً المقام المعنويّ او المادي ـ متذرعاً بالرغبة في الاستزادة من المعارف الالٰهية، اوخدمة عباد الله، فإن مجرد الاهتمام بذلك من الشيطان، فما بالك ببذل الجهد وصولاً اليه!

استمع «الموعظة الواحدة» التي يعظنا بها الله، وأرهف لها سمع القلب والروح ثم عِها تماماً وسر في خطها. يقول تعالى: «**قل انما اعظكم بواحدة ان تقوموا لله مثنىٰ وفرادىٰ** ...الآية»[3] فالميزان في بدءِ الحركة انما هو في كونها «قياماً لله» سواءٌ في

٣- سبأ: ٤٦

الممارسات الشخصية والفردية او في الفعاليات الاجتماعية.

فاسع ان تكون موفَّقاً في هذه الخطوة الاولى، وما أسهل ذلك في ايام الشباب وأوفر حظه من التوفيق، وإياك أن يفجئك الهرم مثل ابيك وأنت إما مراوحٌ في مكانك او متراجعٌ القهقرىٰ، والأمر محتاجٌ في تفاديه الى المراقبة والمحاسبة.

إذا سعىٰ الانسانُ مدفوعاً بدوافع الٰهية الى ملك الجن والإنس، بل إنّه اذا حصل عليه فسيبقىٰ عارفاً بالله وزاهداً في الدنيا، أما إذا كان الانسان مدفوعاً بدوافع نفسانية وشيطانيةٍ فإن كلَّ ما يناله ـ حتىٰ وإن كان مجرد مسبحةٍ ـ فهو بعيدٌ عن الله تعالى بقدر سوء تلك الدوافع.

بنيّ:

طالع «سورة الحشر» المباركة فإن فيها كنوزاً من المعارف التربوية مما يستحق ان يمضي الانسان عمراً بحاله يتفكّر فيها ويتزوّد ـ بالمدد الالٰهي ـ منها بانواع الزاد وخصوصاً آياتها الأواخر حيث يقول سبحانه وتعالى: «**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفسٌ ما قدَّمت لغد، واتقوا الله إن الله خبيرٌ بما تعملون**»(٤).

في هذه الآية الصغيرة في لفظها، البالغة العمق في معناها، احتمالاتٌ بناءةٌ موقظة نشير الى بعضها:

١. يمكن ان تكون الآية خطاباً لمن وُفّقوا لأول مرتبة الايمان، مثل إيمان العامّة. وبناءاً عليه فإنَّ الأمر بالتقوىٰ هو أمر بأول مراتبها من «التقوىٰ العامة» في اجتناب مخالفة الاحكام الالٰهية الظاهرية، وهي بذلك ناظرةٌ الى شكل الاعمال، وعلى هذا الاحتمال، فإنَّ جملة «**ولتنظر نفس ما قدمت لغد**» تحذيرٌ من عواقب اعمالنا، ودليلٌ

٤- الحشر: ١٨

على ان الاعمال التي نقوم بها تأتي ذاتها بما يناسبها من شكلٍ في النشأة الاخرىٰ لتصل الينا. وقد وردت آيات وروايات كثيرة حول هذا، ويكفي القلوب المتيقظة التفكّر في هذا الأمر، بل ان ذلك يوقظ القلوب المؤهلة، وقد يكون خطوةً نحو الارتقاء في المراتب والمقامات الأرفع والأسنىٰ. والدليل على ذلك هو تكرار التأكيد على الأمر بالتقوىٰ، وإن أمكن وجود احتمالٍ آخر. وأما قوله «**إن الله خبير بما تعملون**» فهو تحذير آخر أيضاً من ان اعمال البشر لا تخفىٰ على محضر الحق لأن العالم اجمع محضره تعالىٰ.

٢. يمكن ان تكون الآية خطاباً لاولئك الذين اوصلوا الأيمان الى قلوبهم، فما اكثر ما يكون الانسان مؤمناً معتقداً بالشهادتين في ظاهره، إلا ان قلبه بعيد عن ذلك، أويكون عالماً معتقداً باصول الدين الخمسة، الا انّ هذا العلم لم يصل الى قلبه. ولعل الجميع هم كذلك عدا الندرة من خواصّ المؤمنين.

والسبب في ارتكاب بعض المؤمنين لبعض المعاصي هو هذا، فلو تيقّن القلب بيوم الجزاء والعقاب وآمن به فمن المستبعد جداً التمرد وآرتكاب المعصية. كما ان القلب اذا آمن بعدم وجود إلٰه غير الله فإنَّ الانسان لن يتوجه الى غير الحق تعالى، ولن يحمد سواه، كما لن يعتريه خوفٌ أوخشيةٌ من غيره تعالى.

بنيّ:

أرىٰ أنّك تُظهر الانزعاج والقلق احياناً من التهم الباطلة والشائعات الكاذبة. لذا وجب ان اقول لك اولاً: بأنك ما دمت حياً ترزق وما دمت متحركاً وذا تأثير بنظر الآخرين فلا مناص من توجه الانتقاد والتهمة والشائعات المختلفة نحوك. فالعقد كثيرةٌ والتوقعات متزايدة والحسد كثير، والفعّال ـ حتى اذا كانت فعاليته

خالصة لله ـ لن يمكنه تفادي تجريح أهل السوء.

أنا شخصياً أعرف عالماً تقياً جليلاً، لم يكن يُذكرُ ـ قبل اعتلائه مقاماً بسيطاً ـ الا بالخير ـ نوعاً ما ـ وكان أهل العلم وغيرهم سلماً له تقريباً، حتى اذا توجهت اليه النفوس، وحصل على شاخصية دنيوية ـ ولوأنّها لاتكاد تذكر بالنسبة الى علو مقامه المعنوي ـ اصبح مورداً للتهمة والأذىٰ، وتاجّجت نيران الحسد والعُقد بألوان مختلفة، وظَلَّ حاله هكذا الى آخر عمره.

كما يجب ان تعلم ثانياً: ان الايمان بوحدة الإلّه ووحدة المعبود ووحدة المؤثر لم يلج قلبك كما ينبغي، فلتسع في إيصال «كلمة التوحيد» ـ أعظم وأسمىٰ جملة ـ من عقلك الى قلبك فإنَّ حظ العقل لايعدو ذلك الاعتقاد البرهاني القاطع، الذي ان لم تصل نتيجته الى القلب بالمجاهدة والتلقين فإن اثره وفائدته يكاد ان لايذكران. وما اكثر ما يكون البعض من اصحاب البرهان العقلي والاستدلال الفلسفي اشدّ عرضة من غيرهم للوقوع في شِراك ابليس والنفس الخبيثة «**أرجل الاستدلالين من خشب**»[٥]. ولاتصبح هذه القدم البرهانية والعقلية قدماً روحانية وايمانية إلاّ حين انتقالها من أفق العقل الى مقام القلب وقبول القلب بما أثبته الاستدلال عقلياً.

بنيّ:

عليك بالمجاهدة لُتسلِم قلبك بين يدي الله، فلا ترىٰ بعد ذلك مؤثراً سواه، وإلا أفلا يصلي عامّة المسلمين المتعبّدين عدّة مرات في اليوم والليلة ـ وهي الصلاة وماتزخر به من التوحيد والمعارف الالّهية ـ ويقولون في اليوم والليلة عدة مراتٍ «**إياك نعبد وإياك نستعين**» فيخصّون الله تعالى قولاً بالعبادة والإعانة، إلا انهم

٥- صدر بيت من الشعر للشاعر مثنوي وعجزه «والارجل الخشبية لايقرّ لها قرار».

يتذللون لكل عالم او قوي او ثري ويعاملونهم احياناً بما لا يعاملون به حتى المعبود. ويستعينون بأيٍّ كان ويستمدّونه ويتوسّلون بكلٍّ تافه في سبيل تحقيق مقاصدهم الشيطانية غافلين عن قدرة الحق، لايُستثنىٰ من ذلك سوىٰ ثلة من المؤمنين حقاً وخواصّ الله.

وبناءً على احتمال انَّ الخطاب موجّه الى الذين بلغ الايمان قلوبهم فإن الأمر بالتقوىٰ يختلف عنه في الاحتمال الأول. فهذه التقوىٰ ليست إتقاء الاعمال غير اللائقة، بل تقوىً عن التوجه الى الاغيار، تقوىً عن استمداد غير الحق وعن العبودية لغيره، تقوىً عن فسح المجال لغيره جلَّ وعلا الى القلب، تقوىً عن الاتّكال والاعتماد على غير الله.

وما ترىٰ مما نحن وأمثالنا مبتلون به، وما يبعث الخوف في نفسي ونفسك من الشائعات المنطلقة والاكاذيب المنتشرة أوالخوف من الموت واسلام الروح والتحرر من رقّ الطبيعة انما هو من قبيل تلك الامور التي يجب الاتقاء منها.

وعلى هذا فإن المراد من قوله تعالى «**ولتنظر نفسٌ ما قدمت لغد**» هو الافعال القلبية التي لها صورة في الملكوت، وصورة فوقها ايضاً، والله خبيرٌ بخطرات قلوب الجميع.

بيد أنّ هذا لا يعني ان تترك الحركة والفعالية وتُصبح مهملاً، وتختار العزلة عن كل شخص وكل شيىء فهذا خلاف السنّة الالٓهية وسيرة الانبياء العظام والأولياء الكرام، فقد بذلوا (صلوات الله وسلامه عليهم) كلَّ ما في وسعهم في سبيل تحقيق الاهداف الإلٓهية والانسانية، الا انهم يختلفون عنا نحن عمي القلوب في اعتمادنا على الاسباب على نحو الاستقلال، فهم يعتبرون الأمور كلها في هذا المجال منه جلَّ وعلا،

وذلك طبعاً من مقاماتهم العادية. انهم يرون الاستعانة بأيّ شيءٍ، استعانة بالمبدأ، وهذا أحد الفوارق بينهم وبين الآخرين أنا وأنت وأمثالنا حينما نعتمد على الخلق ونستعين بهم فإننا نكون حينها غافلين عن الحق تعالىٰ، والحال انهم يرون هذه الاستعانة بالآخرين استعانة بهِ تعالى في الواقع وإن كانت استعانةً بالأدوات والاسباب، كما أنّهم يرون ما يقع لهم منه تعالى رغم كونه ظاهرياً غير هذا تماماً عند امثالنا. ومن هنا كان ما يقع لهم حلو المذاق على ارواحهم مهما كان مُراً في نظرنا.

بنيّ:

هنالك امرٌ هام بالنسبة لنا نحن المتخلفين عن «قافلة الابرار» وأرىٰ انه قد يكون ذا أثرٍ في بناء النفس لمن كان بصدد ذلك. فعلينا ان ندرك ان منشأ ارتياحنا للمدح والثناء واستيائنا من الانتقاد ونشر الشائعات انّما هو «حب النفس» الذي يعدُّ من اخطر الشراك التي ينصبها ابليس اللعين.

نحن نرغب ان يكون الآخرون مادحين لنا، حتى وإن أظهروا أنَّ لنا أفعالاً صالحة وحسناتٍ وهمية تفوق بمئات المرات حقيقة ما نحن عليه، كما إنّنا نرغب ان تكون ابواب الانتقاد ـ وان كان حقاً ـ موصدة دوننا أو أن يتحول الانتقاد الى مديحٍ وثناء.

ونحن لايزعجنا الحديث عن معايبنا لانه ليس حقاً، كما لايسرنا المديح والثناء لأنه حقٌ بل لان هذا العيب هو «عيبي انا» وهذا المدح هو «مدحٌ لي انا»، وهو أمر سائدٌ في أوساطنا هنا وهناك وفي كلِّ مكان؛ واذا اردت ان تتأكد من صحة هذا الأمر، فتأمّل بما يصيبك من الانزعاج اذا انبرىٰ المداحون لمدح أحد الاشخاص

على فعل قام به وكنت قد قمت بذات الفعل، ستنزعج حتى اذا كان ما قام به افضل مما قمت به انت، وخصوصاً اذا كان ذلك الشخص من أقرانك وزملائك. وأوضح من هذا المثال: عندما ترىٰ أن عيوب شخصٍ صارت مدائح، ففي تلك الحال، تيقَّن أن للشيطان وللنفس ـ التي هي اسوأ من الشيطان ـ يداً في الأمر.

بنيّ:

فما أحسن ان تلقّن نفسك وتقنعها بحقيقةِ أنّ مدح المدّاحين وإطراء المطرين ناهيك عن انّه يدّمر الانسان ويجعله اكثر بعداً عن التهذيب ـ البعيد عنه هو في الاساس ـ فإنَّ الأثر السيئ للثناء الجميل في نفوسنا الملوّثة سيكون منشأً لجميع أنواع التعاسة بالنسبة لنا، كما سيلقي بنا ـ نحن ضعاف النفوس ـ بعيداً عن المحضر القدسيّ للحق جلّ وعلا. ولعل الناقدين ومروّجي الشائعات يكونون ذا نفع في علاج معايبنا النفسية، ولاغرابة فالأمر شبيهٌ بالعملية الجراحية المؤلمة التي تؤدّي بالنتيجة إلى سلامة المريض.

إن اولئك المادحين يبعدوننا بمدائحهم عن جوار الحق، وهم أصدقاءٌ إلا انهم يؤذوننا بصداقتهم، أما اولئك الذين يتوهّمون أنّهم يحاربوننا بالانتقاد والسبِّ واختلاق الشائعات فإنّهم يساهمون في إصلاحنا رغم أنهم اعداءٌ لنا ـ ذلك اذا كنا اهلاً للصلاح ـ وهم يحسنون الينا رغم ظهورهم بمظهر الاعداء. وإذا اقتنعنا انا وانت بهذه الحقيقة واذا أتاح لنا الشيطان والنفس فرصة لرؤية الأمور على حقيقتها فإنّنا سنضطرب حينها من مدح المادحين وثناءِ اهل الثناء، تماماً كاضطرابنا اليوم من ذمِّ الاعداء ومُفتعلي الشائعات المغرضين. كما اننا سنفرح بالانتقاد تماماً كما نفرح اليوم بمدائح واطراء المادحين.

واذا بلغ قلبَك شيٌ مما ذكرت فلن تـزعجك بـعد ذلك المـنغّصات ولن يـؤلمك اختلاق المختلقين وسوف تنال طمأنينة القلب، فإنَّ أكثر الالام والقلق أنّما هي نتيجة الانانية. رحمنا الله تعالى جميعاً بانقاذنا منها.

٣. الاحتمال الآخر هو كون الخطاب موجّهاً الى اصحاب الايمان من خواصّ اهل المعرفة المتعلقين بمقام الربوبية وعاشقي الجمال الجميل الذين يرون بـعيون قـلوبهم وبالمعرفة التي تنطوي عليها نفوسهم ان جميع الموجودات مظهر للحق، ويـعاينون نور الله في جميع المرئيات، ويدركون مـعنى الآيـة الكـريمة: «**الله نـور السـموات والارض**»[٦] بالمشاهدة المعنوية والسير القلبي رزقنا الله ذلك وإياكم.

وبناءً على هذا الاحتمال فإن الامر بالتقوىٰ لهذه الطائفة من العشاق والخواصّ يختلف عنه مع الآخرين، فلعلَّ التقوىٰ المقصودة هنا، هي تقوىً عن رؤية التكثرات وشهود المرئيات والرائي، تقوىً عن التوجه الى الاغيار حتى وإن كان في صـورة التوجه الى الحق من الخلق. تقوىٰ عن «**ما رأيت شـيئاً الارأيت الله قـبله ومـعه وبعده**»[٧] الذي لايعدو كونه مقاماً عادياً لخلّص الاولياء حيث «للشيئية» دخل في الأمر، تقوىٰ عن مشاهدة «**الله نور السموات والارض**»، تقوىً عن مشاهدة «**هو معكم**» و«**وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض**»[٨]، تقوى عن مظهر جمال الحق في الشجرة، الى سائر ما يرتبط برؤية الحق في الخلق. وعلى هذا يكون المراد من الأمر بالنظر فيما قدمناه لغد هو هذه الحـالات مـن مشـاهدة الحـق في الخـلق والوحدة في الكثرة التي تجيئُ على الصورة التي تناسبها في العوالم الأخرىٰ.

٦- النور: ٣٥

٧- عن اميرالمؤمنين عليه السلام، راجع علم اليقين: ج ١/ص ٤٩

٨-الانعام: ٧٩

٤. احتمال أن يكون الخطاب موجّهاً لأولئك النخبة من خُلّص الاولياء الذين تجاوزوا مرحلة رؤية الحق في الخلق وجمال حضرة الوحدة في الكثرة الفعلية، والذين لم يبق على مرآة مشاهداتهم أثرٌ لغبار الخلق، وتخلصوا في المرحلة التي ادركوها من الشرك الخفي، الا انهم أسلموا قلوبهم لتجلّيات أسماء الحق، فصاروا عشاقاً قيّمين لحضرة الأسماء، والتجليات الاسمائية، وهم فانون عن الغير، لايشاهدون سوىٰ مظاهر الاسماء.

وعلى هذا الاحتمال يكون الأمر بالتقوىٰ أمراً بالتقوىٰ عن رؤية التكثرات الأسمائية والمظاهر الرحمانية والرحيمية وسائر أسماء الله، وكأنّ صوتاً يرنّ في مسامعهم من الأزل الى الأبد: أنْ ليس هناك إلاّ مظهر واحدٌ لاغير.

وتفسر على هذا سائر الفقرات بما يناسب هذا المعنىٰ، واذا اجتازوا ذلك فلا وجود بعدها للشاهد والمشاهدة والشهود، فهو الفناء في «هو المطلق» و«لا هو الا هو».

٥. أما أشمل الاحتمالات الواردة فهو ان يُحمل كل لفظٍ مثل «آمنوا» و«اتقوا» و«لتنظر» و«ما قدمت» وهكذا على معانيها المطلقة، فهي جميعاً مراتب لتلك الحقائق، فالالفاظ موضوعة للمعاني غير المقيدة بقيد والمطلقة من الحدّ والحدود.

وحتى اذا كانت ثمة احتمالات اخرىٰ فهي داخلةٌ ضمن هذا الاحتمال وضمن هذه المراتب. فهو شاملٌ لكل فئةٍ وطائفةٍ من المؤمنين شمولاً تامّاً، وجميع تلك الفئات مصاديق للعنوان المطلق.

وهذا التفسير يفتح الباب لفهم الكثير من الاخبار التي طبقت الآيات على فئةٍ بعينها أو شخص بذاته مما يدفع الى التوهم باختصاصها في حين أنّ الامر ليس كذلك، فأنما هو ذكرٌ لمصداقٍ أو مصاديق متعددة.

وبناءً على ما ذكرنا من الاحتمالات يتسنىٰ لنا فهم الآية المباركة «**ولاتكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم انفسهم أولئك هم الفاسقون**»[٩] التي تلي الآية موضوع البحث.

فالآية الشريفة تنطوي ايضاً ـ وحسب ما ذكرنا من احتمالات ـ على احتمالات تناسب تلك الاحتمالات المختلفة المراتب والمتّحدة الحقيقة، مما لامجال للتفصيل فيه، واكتفي فقط بذكرِ نكتةٍ واحدة، وهي ان نسيان الحق يوجب نسيان النفس سواءٌ اكان نسياناً بمعنىٰ عدم التذكر او بمعنىٰ الترك. وفي كلا المعنيين إنذار مروّع.

ان ما يلازم نسيان الحق تعالى هو نسيان الانسان نفسه. او قل: ان الحق تعالى يجرّه الى نسيان نفسه، وهو أمرٌ يصدق على جميع المراحل السابقة. فمن ينسىٰ الله وحضوره جلَّ وعلا في مرحلة العمل يُبتلىٰ هو نفسه بنسيان نفسه، أو أنّه يُجرُّ إلى ذلك، ينسىٰ عبوديته فيجرُّ من مقام العبودية نحو النسيان. فمن لايعرف ما هو ومن هو وما هي وظيفته وما هي العاقبة التي تنتظره، فإن الشيطان حالٌّ فيه وجالس بدلاً من نفسه، والشيطان عامل على العصيان والطغيان. واذا لم يثب ذلك الانسان إلى رشده ويرجع إلى ذكر الحق وغادر هذا العالم وهو على هذه الحال من الطغيان والعصيان فقد يأتي في ذلك العالم على شكل شيطان مطرود من قبل الحق تعالى.

اما اذا كان النسيان بمعناه الآخر (أي: الترك)، فإن الأمر سيكون أشدّ إيلاماً لأنه اذا ترك إطاعة الحق وترك الحق فإن ذلك يستوجب ان يتركه الحق ويكله الى نفسه ويقطع عنه عناياته. ولا شك ان الامر سينتهي به الى الخذلان في الدنيا والآخرة. لذا نرىٰ كثرة ما ورد من التأكيد على الدعاء بعدم الايكال للنفس في الادعية المأثورة

٩- الحشر:١٩

عن المعصومين لانهم عليهم السلام يدركون نتائج هذه المصيبة في حين اننا غافلون عنها.

بنيّ:

استعظم الذنوب مهما صغرت بنظرك و«انظر الى من عصيت»(١٠) فكل الذنوب تصبح بهذا المنظار كبيرة وخطيرة، ولايغرنّك أيّ شيء، وإياك ان تنسىٰ حضور الله تبارك وتعالىٰ على أيّة حال، فكلٌّ شيء منه، ولو ان عناية رحمانيته انقطعت لحظةً عن موجودات عالم الوجود بأسرها فلن يبقىٰ أثر حتى للانبياء والمرسلين والملائكة المقربين، فالعالم أجمع «مظهرُ» رحمانيته جلَّ وعلا. ورحمته ورحمانيته جل وعلا هي المبقية لنظام الوجود بتواصلها ـ مع قصور اللفظ والتعبير ـ «ولا تكرار في تجلّيه جلّ وعلا» الذي يُعبَّرُ عنه احياناً «ببسط وقبض الفيض المتواصل».

لاتغترّ برحمته، ولكن لاينبغي كذلك أن تيأس منها. كما لا تغتر بشفاعة الشافعين عليهم السلام لأن لكل ذلك موازين الٰهيّة نجهلها نحن.

وليكن التأمل في أدعية المعصومين عليهم السلام وتحرقهم وتفجّعهم خوفاً من الحق وعذابه ديدنك في أفكارك وسلوكاتك، واعلم أنّ الأهواء النفسانية وشيطان النفس الأمّارة بالسوء تدفعنا نحو الغرور وتردينا بذلك المهالك.

بنيّ:

لاتسع للحصول على الدنيا أبداً، حتىٰ الحلال منها، فإن حب الدنيا حتى حلالها رأس جميع الخطايا وهي حجاب سميك يضطر الانسان الى الحرام منها. فانت شابٌّ تستطيع بما حباك الله به من القوة منع أول قدم تزلّ نحو الانحراف فتمنع بذلك من التحاقها بخطىً اخرىٰ، فلكل قدمٍ قدمٌ اخرىٰ تتلوها، وكل ذنب ـ مهما صَغُر ـ يجرُّ

١٠- جامع السعادات: ج ٣/ص ٧٦ وفيه «...ولاتنظر الى صغر الخطيئة وانظر الى كبرياء من واجهته بها».

المرء نحو ذنوبٍ اكبر، حتى تستحيل الذنوب الكبيرة في نظره، لَماً يُستهان بها، بل قد يبلغ الأمر بالبعض ان يفتخروا بارتكاب بعض الكبائر، لا بل قد يصل الوضع بالبعض الآخر حداً ـ أحياناً ـ يجعلهم يرون المنكر معروفاً والمعروف منكراً، نتيجة شدة وتكاثف الظلمات والحجب الدنيوية.

أسأل الله تعالىٰ وجلَّ اسمه وتبارك أن يُنير بصر قلبك بجماله الجميل ويزيل الحُجب من أمام بصرك وينجيك من القيود الشيطانية والانسانية حتى لا تأسف ـ مثل أبيك ـ على ماضيك بعد تصرّم الشباب وحلول الشيخوخة.

واربط قلبك ـ بنيّ ـ بالحق، حتى لا تستوحش في الطارئات من الصدوف، وحَرّرهُ من الاغيار لتستنقذ نفسك من الوقوع في الشرك الخفي والشرك الأخفىٰ.

أما الآيات التالية لما ذكرنا منها فتنطوي على امورٍ غاية في العذوبة والجمال، يحول دون التعرض لها سوء الحال وضيق المجال.

اللهم! اجعل أحمد محموداً عندك، وافطم فاطمة عن الذنوب، واجعل حسناً أحسن، وبلّغ ياسر يسراً، وتولَّ هذه العائلة المنتسبة الى اهل بيت العصمة عليهم السلام بلطفك و عناياتك واحفظها من شرِّ شياطين الباطن والظاهر ومُنَّ عليهم بالسعادة في الدارين.

لا يفوتني ـ بنيّ ـ أنْ أختِمِ وصيّتي هذه بالتأكيد عليك في السعي في خدمة الأرحام لاسيما «أمك» التي لها في اعناقنا جميعاً حقوقاً كثيرةً، واحرص على إرضائهم جميعاً.

والحمدلله أولاً وآخراً والصلاة على رسول الله وآله الاطهار واللعن على اعدائهم.

١٧/شوال/١٤٠٤ هـ ق

روح الله الموسوي الخميني

رؤية الحق

بسم الله الرحمن الرحيم

أهدي كتابي «آداب الصلاة» ـ إذ لم أجن مِنه أنا شخصياً سوىٰ الأسـف عـلى قصوري وتقصيري في ما خلا من ايام عمري التي كنت قادراً فيها على بناء النفس، وسوىٰ الحسرة والندامة في مرحلة الشيخوخة حيث يـدي خـالية وحمـلي ثـقيل والسفر بعيد والبلاء شديد، ولحـن الرحـيل يـتردد في سمـعي ـ الى ولدي العـزيز «احمد»، لعله ان شاء الله ينتفع ـ وهو يتمتع بقوة الشباب ـ بمحتواه مما جُمِعَ من كتاب الله والسنّة المطهّرةِ وما أُثر عن الأولياء العظام. فيلج ـ مستفيداً من ارشادات اهل المعرفة ـ المعراج الحقيقي ويستنقذ قلبه من هذه الظلمة ويُوفَّق لبلوغ مقصد الانسانية الأصلي الذي سلك نحوه انبياء الله العظام واولياؤه الكرام (صـلوات الله وسـلامه عليهم) واهل الله، ودعوا الآخرين اليه.

بنيّ:

اسع للعثور على نفسك المعجونةِ بفطرة الله واستنقذها مـن مسـتنقع الضـلالة وأمواج العُجب والانانية وآركب «سفينة نوح» التي هي «ولايـة الله»، فـإنّ مـن

«ركبها نجا ومن تخلّف عنها هلك».

بنيّ:

اجهد أن يكون سيرك في «الصراط المستقيم» ـ صراط الله ـ وان كان ذلك بخطىً وئيدةٍ بطيئةً، وآسع ان تكون حركات وسكنات قلبك وسائر جوارحك في اطار المعنوية والارتباط بالله، واحرص على السعي في خدمة الخلق لأنهم خلق الله، فرغم انّ أنبياء الله العظام والخواص من أوليائه تعالى، لم يتعلقوا بالدنيا قط ـ مع انهم يمارسون ما يمارسه الآخرون ـ لما يميز ممارساتهم من كونها بالحقِ وللحق، إلا انه روي عن خاتم النبيين ﷺ قوله: «**انه ليغان على قلبي، واني لاستغفرالله في كل يومٍ سبعين مرة**»[1]، ولعله كان يرىٰ رؤية الحقِ في الكثرةِ كُدورةٍ.

بنيّ:

تهيّأ بعدي لمواجهة مختلف مشاعر الجفاء، والضغائن التي اكتّنها الصدور مني، فسوف تنعكس عليك، واذا كان حسابك مع ربك سليماً، وتحصّنت بذكر الله فإنك لن تخشىٰ الخلق فأمر الخلق وحسابهم هينٌ سريع الانقضاء والازليُّ هو الحساب امام الحقِ تعالىٰ.

بنيّ:

قد تعرضُ عليك بعدي المناصب، فإن كانت نيتك خدمة الجمهورية الاسلامية والاسلام العزيز فلا ترفض، ولكن اذا كانت نيتك ـ لا سمح الله ـ إطاعة هوىٰ النفس وإرضاء الشهوات فاجتنب القبول، إذ لا قيمة للمقامات والمناصب الدنيوية حتى

---

١ – مستدرك الوسائل: ابواب الذكر، باب ٢٢، ح ١

والتغوُّنُ الإصرار على المعاصي. وغَينَ على قلبه غيناً: تغشته الشهوة (لسان العرب)

تضيّع نفسك من اجلها.

اللهم مُنَّ على احمد وذريته واهل بيته ـ وهم عبادك ومن نسل رسولك الاكرم (صلواتك عليه وعلى آله) ـ بالسعادة في الدنيا والآخرة، واحفظهم من شرِّ الشيطان الرجيم. اللهم، خذ بأيدينا نحن الضعفاء العاجزون المتخلفون عن قافلة السالكين. اللهم عاملنا بفضلك ولا تعاملنا بعدلك والسلام على عباد الله الصالحين.

٢٣ ربيع الاول ١٤٠٥ هـ.ق

روح الله الموسوي الخميني

مستودع السر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، الذي لا رحمن ولا رحيم غيره ولا يُعبد ولا يُستعان الا منه[1] ولا يُحمد سواه، ولا رب ولا مربي الا اياه وهو الهادي الى الصراط المستقيم ولا هادي ولا مرشد الا هو ولا يُعرف الا به، هو الاول والآخر والظاهر والباطن.
والصلاة والسلام على سيّد الرسل ومرشد الكلّ الذي ظهر من غيب الوجـود الى عالم الشهود واتمّ الدائرة وارجعها الى أولها وعلى آل بيته الطاهرين الذيـن هـم مخازن سر الله ومعادن حكمة الله وهداة ما سوى الله.

وبعد ...

هذه وصية من عجوزٍ عاجزٍ، أمضىٰ زهاء التسعين عاماً من عـمره غـارقاً في مستنقع الضلالة وسكر الطبيعة، يطوي الآن أيام ارذل عمره منحدراً نحو قعر جهنم غير آمل بالنجاة، وغير آيسٍ من روح الله ورحمته فلا أمل له سواه تعالىٰ، يـرىٰ

١- مقدمة الرسالة مكتوبة باللغة العربية اساساً والظاهر ان المراد من عبارة [ولا يعبد ولا يستعان الا منه] هو [ولا يعبد ولا يستعان غيره] -المترجم

نفسه عاجز لما اشتغل به من عقد العلوم المتعارفة والقيل والقال حتى اضحت معاصيه مما يعجز سوى الله تبارك وتعالى عن إحصائها.

الى شابٍ يُؤَمَّل له ان يشقّ طريقه نحو الحق وينجو ـ بتوفيق الله وهداية الهداة ـ من المستنقع الذي سقط فيه أبوه.

ولدي العزيز احمد، انظر ـ سلّمك الله ـ في هذه الاوراق نظر ناظرٍ الى ما يُقال، لا الى من يقول، فاني أهدف مما أقول تنبيهك رغم أني بريءٌ مما أقول، بعيد عنه.

اعلم ان ليس لأيّ موجودٍ من الموجودات ـ بدءاً من غيب عوالم الجبروت والى ما فوقها او تحتها ـ شيءٌ من القدرة أو العلم أو الفضيلة، وكل ما فيها من ذلك انما هو منه جلَّ وعلا، فهو المسك بزمام الامور من الازل الى الابد، وهو الأحد الصمد. فلا تخش من هذه المخلوقات الجوفاء الخاوية الخالية ولا تُعلِّق آمالك عليها أبداً لأن التعويل على غيره تعالى شركٌ، والخوف من غيره جلّت عظمته كفرٌ.

بنيّ:

اسع في إصلاح نفسك ما دمت تحظىٰ بنعمة الشباب، فإنَّك ستخسر كل شيءٍ في الشيخوخة، فمن مكائد الشيطان ـ ولعلها أخطر مكائده ـ التي سقط فيها ابوك ومازال، الا اذا أدّاركته رحمة الحق تعالى ـ هي «الاستدراج» ففي أوائل الشباب يسعىٰ شيطان الباطن ـ أشدُّ اعداء الشاب ـ في ثنيه عن إصلاح نفسه ويمنّيه بسعة الوقت وأن الآن هو آن التمتع بالشباب، ويستمر في خداعه بالوعود الفارغة ليصدّه عن فكرة الإصلاح تماماً، وساعة بعد ساعة ويوماً بعد يوم يتصرّم الشباب ويرىٰ الانسان نفسه فجأة في مواجهة الهرم الذي كان يؤمِّل فيه اصلاح نفسه، وإذا به ليس بمنأىً عن وساوس الشيطان أيضاً، اذ يمنّيه آنذاك ايضاً بالتوبة في آخر العمر، لكنه

حينما يُحُسُّ بالموت في آخر العمر، يصبح الحق تعالى أبغض موجودٍ إليه لأنه يريد انتزاع الدنيا (محبوبه المفضّل) منه. وهذه حال أولئك الذين لم ينطفئ نور الفطرة فيهم تماماً. وهناك من أبعدَهم مستنقعُ الدنيا عن فكرة الاصلاح كلياً وسيطر عليهم غرور الدنيا بشكلٍ تام، وقد رأيت أمثال أولئك بين أهل العلوم المتعارفة، مازال بعضهم على قيد الحياة، وهم يرون أن الأديان ليست سوىٰ خرافة وترهات.

بنيّ:

انتبه جيداً، الى ان ايّ احدٍ منا لا يمكنه ان يكون مطمئناً الى عدم وقوعه في حبائل هذه المكيدة الشيطانية.

عزيزي فلتقرأ أدعية الأئمة المعصومين عليهم السلام ولتنظر كيف أنّهم يعتبرون حسناتهم سيئات وكيف يرون أنّهم يستحقّون العذاب الالٓهي ولا يفكّرون سوىٰ برحمة الحق تعالى. وأهل الدنيا وتلك الفئةِ من المعمّمين اللاهثين وراء بطونهم إنّما يُؤوّلون هذه الادعية لانهم لم يعرفوا الحق جلَّ وعلا.

بنيّ:

والأمرُ في ذلك فوق ما نتصوره، فهم بين يدي عظمة الحق، فانون من أنفسهم، لا يرون غيره تعالى، وفي تلك الحال ليس هناك كلامٌ او ذكرٌ او فكر وليس هناك ذات، وهذه الادعية الكريمة والمناجات انما صدرت منهم في حال الصحو قبل المحو او بعد المحو، حيث انهم حينها كانوا يرون انفسهم في محضر الحاضر. ونحن والجميع ـ عدا اولياء الله الخلّص ـ قاصرون عن ذلك. اذن فسأبدأ الحديث عن تلك الامور ـ التي لا تليق بأمثالي المضطربة اوضاعهم وانما الأمل بفضل الله وإمداد اوليائه عليهم السلام أن يعينك انت يا ولدي لعلك تصل الى تلك الحال ـ وهي «فطرة التوحيد» الأمر

الموجود في «فطرة الله التي فطر الناس عليها»[٢]، فهو أمرٌ فُطر عليه جميع الناس بل جميع الموجودات، فما يُبحث عنه ويجري وراءه الجميع سواء في العلوم والفضائل والفواضل او في المعارف وامثالها او في الشهوات والاهواء النفسانية او في التوجّه الى كل شيء وأي شخص من قبيل أصنام المعابد والمحبوبات الدنيوية الأخروية الظاهرية والخيالية والمعنوية والشكلية، كحب النساء والبنين والقبيلة والقادة الدنيويين كالسلاطين والامراء وقادة الجيوش، او القادة الأخرويين كالعلماء والمفكّرين والعرفاء والانبياء عليهم السلام، كل ذلك هو ذات التوجّه الى الواحد الكامل المطلق، فليس من حركةٍ تقع إلاّ له تعالى وفي سبيل الوصول اليه جلَّ وعلا، وليس من قدمٍ تخطو الا نحو ذلك الكمال المطلق، ونحن وامثالنا ـ ممن حجبتنا الحجب الظلمانية المتراكمة بعضها فوق بعض ـ انما نعاني ونتعذّب نتيجة هذا الاحتجاب، وأول خطوةٍ تكون مقدّمة لرفع الحجب هي ان نعتقد اننا محجوبون وأنّ علينا ان نصحو تدريجياً من خَدرَ الطبيعة الذي شمل كامل وجودنا من السرّ والعلن والباطن والظاهر. وهي اليقظة التي عدها بعض اهل السلوك «المنزل الاول» من منازل السالكين، إلا انها ليست كذلك، فهي حالة عودة الوعي والاستيقاظ وهي مقدمة فقط، للبدء في السير ورفع جميع الحجب الظلمانية، ثم الحجب النورانية والوصول الى أول منزل التوحيد.

والأمر سيّان اذا التزمنا إطار العقل، او الأطر الاخرىٰ بأسرها، فجميعها تُفصح عن ان الكمال المطلق هو جميع الكمالات وإلا فهو ليس بمطلقٍ ولا امكان لظهور ايّ كمالٍ او جمال أو جميل في غير الحق، لأن الغيرية هي عين الشرك ان لم نقل انها إلحادٌ.

٢- الروم: ٣٠

عزيزي: ينبغي ـ أوّلاً ـ أن تخطو بقدم العلم رويداً رويداً، فإن أيّ علمٍ كان هو الحجاب الاكبر، وبالدخول بهذا الحجاب ستتعلم رفع الحجب. تعال اذن ننطلق معاً نحو الوجدان لعل ذلك يفتح الطريق أمامنا.

ان ايّ انسان، بل ايّ موجود عاشقٌ للكمال بالفطرة ومتنفّرٌ من النقص، فأنت إنما تطلب العلم لانك تطلب الكمال، وبذا فانت ترىٰ ان فطرتك لا تقنع ابداً باي علم تناله وهي بمجرد أن تدرك وجود مراتب أرقىٰ وأعلىٰ في هذا العلم فإنّها ستبحث عنها وتطالب بها، وسوف تتنفّر مما لديها من العلم الذي نالته لما سترىٰ به من محدودية ونقص. فما تعشقه الفطرة هو كمال العلم لا نقصه، ولو أن مقتدراً اهتم بقدرته فهو انما يسعىٰ الى كمال القدرة لا الى نقصها، لذا نرىٰ المقتدرين يسعون دوماً لقدرةٍ اعظم واعلىٰ، غافلين عن ان القدرة المطلقة انما هي الموجود المطلق. وان جميع «دار التحقق» انما هي مظهرٌ من ذلك الموجود المطلق. وأينما تولِّ وجهك انما تولِّ وجهك اليه، إلا انك محجوبٌ ولا تعلم، واذا ادركت هذا المقدار وفهمته بالوجدان فلا يمكن ان تتوجّه الى غير الموجود المطلق، وذلك هو الكنز الذي يُغني الانسان عن الحاجة الى غيره تعالى ويصبحُ كلُّ ما يصل اليه من المحبوب المطلق، وكل ما سُلِبَهُ انما سَلَبَه إياه المحبوب المطلق. حينها ستستشعر اللذة حينما ترىٰ من يبحثون عن سقطاتك وعيوبك، لأن ذلك كله من المحبوب وليس منهم، وحينها أيضاً لن تعلق القلب بايِّ مقامٍ غير مقام الكمال المطلق.

ولدي العزيز: دعني اتحدث اليك الآن بقلمي ولساني العاجزَين:

انت والجميع تعلمون بانكم تحت ظلِّ نظامٍ وقف بوجه جميع القوىٰ الشيطانية بيُمن القدرة والتوفيق الالهَيين وبدعاءِ وتأييد بقية الله ـ ارواحنا لتراب مقدمه

الفداء ـ وبتضحيات الشعب الايراني الثوري ـ روحي فداهم واحداً واحداً. نظامٌ مَرَّغَ بالتراب أنف نظام الفوضىٰ الملكية الذي لم يُحسن خلال الآف السنين غير الظلم وإلحاق الاذىٰ بابناء الشعب وغير القتل والنهب. وفي هذا الخضمّ تعرض اولئك الطفيليون، اتباع النظام الفاسد ممن مارسوا انواع الظلم والتعدي والسلب، الى السقوط من أوج قدرتهم إلى اسفل السافلين ـ كما حصل لتلك القوىٰ الشيطانية وشبكات إعلامها المضلل ـ وتفرق الكثير منهم الآن في مختلف البلدان الاجنبية عدا من بقي منهم في داخل البلاد وقلبه متعلّق بالاجانب، وقد عقدوا مع الغرب عقد الوئام، فهم جميعاً قد تعرضوا الى فقدان مصالحهم على المستوىٰ الدولي واصبحوا حديث الأنس بما أصابهم من الخزي والعار، واليوم فإن هؤلاء ـ خصوصاً امريكا الناهبة ـ مؤيدين في العالم وبين الشعوب المستضعفة والغافلة عن حقيقة القدرة التي يمتلكها الاسلام، وفي مجتمعنا نحن ايضاً، العديد من المأسورين بأمريكا يعيشون بيننا وقد امتشقوا سيوفهم بوجه هذه الجمهورية المباركة والمسؤولين فيها، ينتظرون زوالها لما يرون من خطر يهدّد منافع الغرب، بسبب الاسلام العظيم ـ القدرة الوحيدة التي تسببت في تعرضهم لهذا الخطر.

كذلك فإن الشرق المُلحد ـ الذي يقف بوجه أيّة محاولة تمسُّ قدرته، وبعد ان سيطر هو الآخر على نصف العالم ـ يحسُّ أنه واصدقاءه في معرض الخطر ايضاً من هذا الاسلام المتنامي القدرة، هذا الشرق الملحد له في داخل البلاد وخارجها مؤيدون ايضاً يقفون تبعاً لمعبودهم الكبير بوجه الاسلام العظيم والجمهورية الاسلامية ومسؤولي النظام وهم يسعون جاهدين للقضاء عليها وعلى ايّ اثرها.

في مثل هذا المحيط وفي مثل هذه الاوضاع، هل تتوقّع ان يُشَدَّ على يد الجمهورية

الاسلامية وينبري المادحون لمدحها والترحيب بها وبالمسؤولين فيها؟

ان طبيعة التفكير البشري الفاسد تقتضي ازالة ما يُعتبر عوائق من الطريق، واستخدام ايّة وسيلة لتحقيق ذلك، وأحد اساليبهم التي يلجأون اليها علاوة على الاسلوب العسكري والاقتصادي والقضائي، هو «الاسلوب الثقافي»، فالثقافة المنحطة للغرب والشرق تقتضي استخدام كل الامكانات الاعلامية المتاحة لهم لنشر الاكاذيب على مدار الساعة وإلصاق الاتهامات والافتراء على الثقافة الاسلامية الالّهية، واستغلال كل فرصة للقضاء على القوانين إلالّهية للجمهورية الإسلامية وعلى أصل الاسلام، وان يعتبروا المرتبطين به رجعيين وفاقدين للحسِّ السياسي الى غير ذلك، من القول بعدم مناسبة القوانين الاسلامية لعصرنا الحاضر، على اساس انها قوانين مضىٰ عليها ألف واربعمائة عام فلا تنفع في إدارة الأمور في وقتنا الحاضر الذي يمتلئ بالمستجدات مما لم يكن موجوداً في تلك العصور. وقد كرر بعض مدّعي الاسلام هذه الامور ايضاً ومازالوا.

في مثل هذا المحيط ينبغي الوقوف بوجه هذه المؤمرات الواسعة استناداً الى الثقافة الالّهية الاسلامية والثبات بوجهها، فينبري لذلك الكتّاب الملتزمون والخطباء والفنانون للاستفادة من هذه الفرصة العظيمة وباستمداد الروحانيين العارفين بالفقه الاسلامي والقرآن الكريم ممن يستنبطون الأحكام الالّهية المناسبة لكل عصر بالاجتهاد الصحيح من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة والاخبار الفياضة بالمعارف الالّهية والفقه الأصيل وعرضها للعالم اجمع. ولا تخشوا اولئك الذين لا همَّ لهم سوىٰ البحث عن عيوب الآخرين، والمنحرفين ووعاظ السلاطين والمعمّمين المرتبطين ببلاط الملوك، ولتُفهِموا اولئك القشريين من الروحانيين او

غيرهم ممن يقفون بوجه الحكومة الاسلامية جهلاً أو عمداً أو بباعث الحسد أو عدم الفهم ـ وبما اتبعه النبي الاكرم صلى الله عليه وآله وامير المؤمنين عليه السلام وسائر الأئمة من اساليب وبالموعظة الحسنة ـ بأنّ هذه الانحرافات إذا أدّت الى إلحاق ضررٍ ما ـ لا سمح الله ـ بالجمهورية الاسلامية ـ التي تهدف الى إحياء الاسلام الذي تعرض للظلم على مدىٰ التاريخ ـ فإن الاسلام سيتعرض الى ضربة من الغرب والشرق والمرتبطين بهما ستؤدي الى ان نواجه قروناً من الفساد تفوق عصر الملكية المقبور الظالم ظلمةً وفساداً.

والآن جاء دور تقديم النصيحة الأبوية الى ولدي احمد:

بنيّ:

رغم انك لم تتصدَّ لأية مسؤولية مما تصدىٰ له القادة الأسلاميون المسؤولون ـ ايّدهم الله تعالى ـ الا انك تتعرض للكثير من الصدمات، وما ذلك الا لانك ابني، فبناءاً على فهم الغرب والشرق، ينبغي ان اصبح انا وكل من هو قريبٌ مني ـ خصوصاً انت لما تمثله من القرب الشديد مني ـ موضعاً للتهمة والأذىٰ والافتراء. فجريرتك الحقيقية هي أنك ابني وهذا ليس بالجرم القليل في نظرهم، ولا شك أنهم سيعرضونك الى اشدٍّ من هذا، وعليك ان تستعدّ لتحمّل المزيد، ولكنك اذا تمسكت بالايمان وبالاعتقاد بالحق تعالىٰ واطمأننْت إلى حكمة الباري ورحمته الواسعة، فإنك سترىٰ هذه التهم والافتراءات والمتاعب المتزايدة هدايا من محبٍّ يريد اعانتك على ترويض نفسك، وإبتلاءً وامتحاناً آلهياً لتنقية نفوس عبيده، تحمّل الصدمات إذن واشكر الله تعالى على رعايته لك وأسأله المزيد.

ابني العزيز: رجوتني مراتٍ عديدة ان لا اتحدث عنك بما يدلُّ على تبرئتك من

التهم المنسوبة اليك، وقلتَ ان ذلك لاجل الاسلام ومصلحة الجمهورية الاسلامية، ولكن إذا رأيت في هذه الوريقات، أنّي خالفت قولك هذا وقلت عنك شيئاً غير ما طلبت مني، فاعلم ان ذلك عمل بالتكليف الالّهي والتصدي للدفاع عن شخص مسلمٍ أو عن أحد عباد الله ممن تحمّلوا في سبيلي كل هذه التهم والأذىٰ، دون أن أقول أنا ما أعرف عنهم.

أُشهد الله القاهر الحاضر المنتقم بأن (احمد) ومنذ اليوم الذي تصدىٰ فيه لمساعدتي واصبح مسؤولاً عن علاقاتي الخارجية في مضيفنا وإلى الآن ـ حيث اكتب هذه الكلمات ـ لم يخطُ خطوةً أو يكتبْ حرفاً واحداً خلافاً لقولي أو لما أكتبه، وقد سعىٰ بحرصٍ شديد على عدم تغيير كلمة واحدة بل حتى حرفٍ واحد أحياناً ـ مما قلته أو كتبته مما يرىٰ هو حاجة إلى اصلاحه دون إذنٍ مني، رغم اني أجزته هو وبعض اعضاء مكتبي الخاص ممن تكفّلوا مسؤولية العلاقات الخارجية ـ حفظهم الله ـ أن يلفتوا نظري إلى أي شيءٍ يرون فيه خلاف الصلاح، وقد كان ابني (احمد) دوماً في مجريات هذه الأمور ومازال، إلاّ أنّه الى الآن لم يقدم على إضافة أو إنقاص كلمةٍ دون الرجوع إليّ ـ والله على كل ذلك شهيد ـ

الّهي! رغم عدم رغبتي في كتابة أو قول اي شيءٍ حول أقربائي مما يُشمّ منه رائحة المديح، الا انك تعلم يا الّهي بأنّ السكوت إزاء التهم الباطلة جرمٌ وذنب وإنّي لم ألمس من إخواني ممن يعملون في مكتبي أيّة مخالفةٍ تستوجب عدم رضاي. هؤلاء كان لهم ماضٍ طويل معي، وقد تعرض من بينهم الأخ (الصانعي) الى مختلف الصدمات على مدىٰ حياتي بسبب ارتباطه بي، واني ادعو لهم جميعاً بالأجر الجزيل والصبر الجميل.

لا يفوتني ان اقول في الختام بأن (احمد) لم يستلم الى الآن ديناراً واحداً من بيت المال، واني أنفق من أموالي الخاصة لأمور معاشه.

اللهم اغفرلنا ـ نحن عبيدك الغارقون في الذنوب ـ ولا تحجب عنا رحمتك الواسعة، وإن كنا لسنا اهلاً لذلك ولكنّا مخلوقاتك.

اللهم! أحفظ هذه الجمهورية الاسلامية والمسؤولين فيها، ومقاتلينا الأعزاء، وأرعهم بعين رعايتك، وأرحم الشهداء والمفقودين الاعزاء وعوائلهم برحمتك، ورُدَّ الاسرىٰ والمفقودين إلى أوطانهم بحق محمد وآله الاطهار عليهم السلام.

٢٧ ربيع الثاني ١٤٠٨ هـ.ق

روح الله الموسوي الخميني

شراب العشق

بسم الله الرحمن الرحيم

عزيزتي فاطمة:

أخيراً حملتني علىٰ كتابة عدة أسطر ولم تقبلي عذر شيخوختي وما أحمل من المعاناة وما انا فيه من الابتلاءات ...

إذن فلأبدأ بالحديث عن ابتلاءات الشيخوخة والشباب، فقد ادركتُ انا المرحلتين او ان شئتِ فقولي طويتهما، وانا الآن منحدرٌ نحو البرزخ أو النار تتلاقفني أيدي أعوان ملك الموت، وغداً ستعرضُ عليّ صحيفة أعمالي السوداء وأُحاسَب على عمري الضائع وأُسألُ ولا جواب عندي وليس لي سوىٰ الأمل برحمة من وسعتْ رحمته كلَّ شيءٍ، الذي أنزل على من هو رحمةٌ للعالمين «**... لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعاً...**»[1]

ولكن لو فرضنا اني صرتُ مشمولاً بهذه الآية الكريمة وامثالها ومن مصاديقها، فماذا عن العروج الى حريم الكبرياء والارتقاء الى جوار المحبوب والوفود الى

١- الزمر: ٥٣

ضيافة الله التي كان ينبغي عليّ بلوغها بنفسي، والحال اني وقعت في مرحلة الشباب فريسة للشيطان وخادمه المطيع النفس الأمارة بالسوء؟

ورحتُ اشغل نفسي ـ حين كانت لديّ نعمة القوة والنشاط ـ بالمفاهيم والاصطلاحات الطنّانة المزوّقة، فلم أحصل على الانسجام معها أو على رقيّ الحال بل لم أحاول ابداً ادراك معانيها والوصول الى لُبّها وتفسير ظاهرها بباطنها وملكها بملكوتها فرحت أقول:

مدرستي لم تغن بعد الجهد أو كلّ اجتهادي
وازدحام القيل والقال سوى غمَّ الفؤادِ[٢]

وهكذا غصتُ في عمق الاصطلاحات والعبارات وانكببت على جمع الكتب بدلاً من رفع الحجب وكأنّ الكون والمكان ليس فيهما سوىٰ حفنةٍ من الورق المبعثر الذي يصدُّ الطالب المفطور بفطرة الله ـ باسم العلوم الانسانية والمعارف الالٓهية والحقائق الفلسفية ـ عن بلوغ مقصده، بل وتغرقه في الحجاب الأكبر، فقد حالت «الأسفار الاربعة»[٣] بطولها وعرضها بيني وبين السفر نحو المحبوب، ولم أحصل على أيّ فتحٍ من «الفتوحات»[٤] ، وحرمت ايّة حكمة من «فصوص الحكم»[٥] فما بالك بما سوىٰ

٢- مضمون بيتين من الشعر

٣- اشارة الى كتاب الحكمة المتعالية في الاسفار العقلية لصدر المتألهين الشيرازي

٤- اشارة الى كتاب الفتوحات المكية لمحي الدين بن عربي

٥- اشارة الى كتاب فصوص الحكم لابن عربي

ذلك مما له قصةٌ محزنة لحاله.

وحينما بلغت المشيب، صرت عرضة للاستدراج في كل خطوة حتىٰ بلغت الشيخوخة وما فوقها مما انا فيه الآن «**ومنكم من يُردُّ الى أرذل العمر لكي لا يعلم من بعد علمٍ شيئاً**»[٦].

وأنت يا ابنتي، لأنكِ بعيدةٌ فراسخ عن هذه المرحلة ولم تتذوقي طعمها ـ اوصلك الله اليها محفوظةً من بلاياها ـ تتوقّعين مني الكتابة والحديث نثراً ونظماً، ولا تعلمين اني لستُ كاتباً ولا شاعراً ولا خطيباً.

أعلمي يا ابنتي العزيزة ـ وأنت لم تخبري الحياة بعد ـ انك سوف تنوئين يوماً ـ لا سمح الله ـ تحت عبء الندم الثقيل على الشباب الذي ضاع منك بتلك الامور أو بما هو أكثر منها، مثلي تماماً حيث تخلّفت عن قافلة عشاق الله.

فاستمعي إذن لهذا الهرم البائس الذي ينوء تحت هذا العبء منحنياً ظهره من ثقلهِ ... لا تغتري بهذه الاصطلاحات التي تمثِّلُ الفخ الكبير لإبليس، وحُثي الخطىٰ في البحث عنه جلّ وعلا، فأيام الشباب وأُنسها وملذّاتها سريعة الأفول، وقد طويتُ أنا مراحلها جميعاً وأمسيتُ أصارع الآن عذابها الجهنمي، وشيطاني لا يكفّ عنيّ جاهداً في محاولة تسديد ضربته الأخيرة اليّ ـ والعياذ بالله ـ غير أنّ اليأس من رحمة الله الواسعة يعدُّ في حدٍّ ذاته من الكبائر العظيمة. (لا أصاب الله به العاصي)

يُقال ان مجرم التاريخ الحجاج بن يوسف الثقفي قال في آخر عمره: «اللهم اغفرلي رغم قول الجميع أنك لن تغفرلي» ويقال ان الشافعي عند ما سمع بذلك قال: اذا كان قال ذلك فعسىٰ ولعلّ!

٦- النحل: ٧٠

ولست اعلم ان كان ذلك الشقي قد وُفِّق لهذا الأمر ام لا. كل ما اعلمه ان اليأس هو أسوأ من كلِّ شيء.

بنيّة:

لا تغتري برحمة الله فتغفلي عنه، ولا تيأسي فتخسري الدنيا والآخرة.

اللهم بحق اصحاب الكساء الخمسة، احفظ احمد وفاطمة وحسن ورضا وعلي ـ اولئك الذين افتخر ويفتخرون انهم من سلالة الرسول العزيز ووصيّه (صلوات الله وسلامه عليهما) ـ من الشرور الشيطانية والاهواء النفسانية.

انتهىٰ كلامي وتمت عليّ حجة الحق والسلام.

ربيع الثاني ١٤٠٧ هـ.ق

الآن، ولأنك طلبت مني شعراً وواجهتِني بإصرارك المعهود، لابد ان اقول بحقٍ اني لم امتلك القدرة على قول الشعر لا في ايام الشباب ـ التي تمثّل عنفوان الشعر والشعور والتي مضت الآن ـ ولا في ايام المشيب التي خلّفتها وراء ظهري ولا في أرذل العمر الذي اعيش أيامه الآن.

يقولون ان احدهم قال: ان قدرتي لم تختلف في أيام شيخوختي عنها في ايام الشباب لاني مازلت لا استطيع حمل هذا الحجر الكبير الذي لم استطع حمله في شبابي!

انا ايضاً اقول بان حالي لم تختلف أزاء الشعر والأدب، فلم استطع قول الشعر ايام الشباب كما لا استطيعُه الآن.

«لَعِباً ما تنسجُ الاقـلام لا شعراً يُذاعْ
أين ما نلغو من اللهو وقول الشعراءْ!»[٧]

ما دمت لا اتمكن قول الشعر، دعيني اقنعك بما يشبه الشعر قـولاً لعـلّي ارضي اصرارك.

«أحمدٌ من نسل طه المـصطفىٰ المخـتارْ
وجدُّه محمدٌ خير الورىٰ سـجية ودارْ
أدعو الحـميد القادر المـنان ان يحـفظه
ويحــفظ الاخـرىٰ سـليلة الاطـهار
فـــــــاطمة التي تـــــــولدت
من عـرش طـهر الطـهر فـاطمة»[٨]

٧- مضمون بيت من الشعر

٨- مضمون بيتين من الشعر